الأحوال إلى حد لاتقره الشريعة المطهرة ولا يقبله العقلاء ، وذلك كأن يمكنهم من الدخول على أهله ومحارمه وهم عراة مكشوفو العورة ، أو يعطيهم ملابسه الجديدة وقد يكون فى أشد الحاجة إليها ليمزقوها أو يلقوها فى النار ، أو ينفق عليهم مابيده من المال ويترك أهله وأولاده يتضورون جوعا ، أو يجلس مع أحدهم يحادثه ويشاغله حتى يخرج وقت الصلاة المكتوبة ، وغير ذلك من أنواع المعاملات التى لاتنشأ إلا عن خبل فى العقل أو جهل بالدين ، والذى دعا مثل هذا المسكين إلى ذلك ظنه أن من لوازم الاعتقاد فى هؤلاء المجاذيب أن يطيعهم طاعة عمياء فى كل مايبتغون حتى ولو كان حراما مجمعا عليه ، مع أنه لاملازمة فى الحقيقة بين الأمرين . هـذا على فرض كونهم مجاذيب حقيقة لا مدعين كذابين كما هو الغالب الآن ، فانك تعد العشرات منهم فلا تجد فيهم صاحب حال حقيقى . ومن الناس من يبالغ فى احتقار هذا الفريق ويتغالى فى سوء الظن بهم إلى درجة كبيرة حتى أنه يضربهم ويؤذيهم باليد واللسان من غير موجب : وهذا أمر لاينبغى ولا داعى له أيضاً ، والخطة القويمة فى ذلك أن أرباب هـذه الأحوال إن كانوا فى عقولهم ولم يكونوا مقهورين بسلطان الحال المستولى عليهم فحكمهم حكم بقية المكلفين ، لانطيعهم فى منكر ولانقرهم على منكر بل نأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر رضوا أم سخطوا ، وإن كانوا مسلوبى العقول فلا كلام لنا معهم لسقوط التكليف عنهم ـ سواء أكانوا مجانين أم مجاذيب ـ ومعنى أنه لا كلام لنا معهم أننا لانعترض عليهم ولا نؤذيهم بل نسلم أمرهم إلى مولاهم وخالقهم ، لكن لانطيعهم فى منكر ولا نمكنهم منه وإن غضبوا من أجل ذلك فلا يضر غضبهم إن شاء الله تعالى . هذا كله بالنسبة لمن لم يرزقه الله تعالى الفراسة الصادقة التى يعرف بها الصادقين من الكاذبين ويميز بها بين المجانين والمجاذيب ، وأما صاحب الفراسة الصادقة والبصيرة النيرة فنبراسه فى يده ودليله معه . ثم ظهور الكرامات على أيدى هؤلاء المجاذيب كتحدثهم بالخواطر وإخبارهم بالمغيبات أحياناً وغير ذلك من الخوارق لايستبعد ولا يستغرب وإن كانوا متلبسين بصورة مكروه أو محرم ، وقلنا (بصورة) لأنهم ماداموا غير مكلفين فأفعالهم لاتوصف بكراهة ولا حرمة ومتى كانت كذلك فهى لاتنافى حصول الكرامات على أيديهم والله أعلم .

(٤) ستر الولى: الذى نعرفه فى ستر الأولياء أن بعضهم بل معظمهم يؤثر الاختفاء وعدم التظاهر بالولاية ولايحب أن يعرف الناس مابينه وبين خالقه، ولذلك يتستر ـ وهذا معنى اختفاء الأولياء ـ فى بعض الحرف والصناعات التى يظن العامة منافاتها للولاية، وبعضهم يتستر بالعلم والاشتغال بمذاكرته، أو باظهار الحرص على الدنيا وإمساك المال إلا عن حقه الشرعى ، والبعض يتستر باظهار الشدة فى أخلاقه والحدة فى طبعه وغير ذلك ، وما أحسن قول بعضهم :

استتار الرجال فى كل أرض تحت سوء الظنون أمر جليل
ما يضر الهلال فى حندس الليـــل سواد السحاب وهو جميل

وكثير من أرباب الأحوال يجعلون سترهم التفوه بالعبارات النابية والألفاظ الموهمة ليصرفوا بها وجوه الناس عنهم ويحملوهم على عدم الاعتقاد فيهم ، والبعض منهم تصدر منه هذه الألفاظ غلبة وقهراً عنه لاضطلاعه بكثرة الواردات وعظم التجليات فهو فى الواقع ونفس الأمر معذور بغلبة الحال ولكن لابد من إقامة حد الشريعة عليه صوناً لها عن تلاعب المبطلين وسداً للذريعة، ولذلك كان الجنيد رضى الله عنه ممن أفتوا بقتل الحلاج مع علمه بحاله وعذره، والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

عبد الجواد محمد الدومى

أسئلة وأجوبة

س ١ — الصلاة المتأخرة عن أوقاتها هل يجوز صلاتها قبل الوقت أو بعد الوقت ؟

س ٢ — نرجو تفسير سورة البلد .

س ٣ — هل تجوز الصلاة فى الجبانة أو هى حرام أو مكروه ؟

عبد الحميد فهمى أحمد — بمصلحة التنظيم بمصر

الاجابة : الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ج ١ — متى تأخرت الصلاة عن وقتها فقد صارت فائتة ، والصلاة الفائتة تفعل فى أى وقت ، فمن عليه صلاة ظهر مثلا قد فاتت بخروج وقتها فانه يجب عليه أن يصليها قبل وجوب الظهر أو بعد وجوبه فى ليل أو فى نهار فى أى وقت ممكن ، لقوله ﷺ «من نسى صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها» قال العلماء : واقتصاره ﷺ فى الحديث على ذكر الصلاة المنسية والتى نام عنها ، من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى الذى هو التعمد ، فمن ترك صلاة متعمداً وجب عليه قضاؤها من باب أولى ، ويكون القضاء على نحو مافاتته من عدد الركعات والاسرار والجهر ، فمن فاتته صلاة سفرية قضاها سفرية ، ومن فاتته حضرية قضاها حضرية ، ومن فاتته صلاة جهرية قضاها كذلك ، ومن فاتته سرية قضاها كذلك ، إلا مافاتته فى وقت المرض فانه يقضيها باعتبار الصحة بأن يصليها صلاة تامة من قيام والله أعلم .

ج ٢ — قد سبق لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الفتاح خليفه تفسير هذه السورة الكريمة على مانظن ، فلا داعي لأن يفسرها الفقير بعد ذلك ، خصوصاً وباع فضيلة الأستاذ فى التفسير أطول وقدمه أرسخ ، والفقير بحمد الله تعالى ممن ينتفع بتفسيره وسائر ماينفثه قلمه الفياض ، وقد كان فى عزمنا من مدة تنبيه حضرات القراء لذلك فلا يطلبوا منا تفسير شىء سبق لفضيلته الكلام فيه ، فليعمل حضراتهم بهذا التنبيه من الآن ، على أن حضراتهم لو قبلوا ماسبق لنا أن قدمناه مراراً من الاعتذار عن الكتابة إلينا رأساً لكان أولى وأفضل ، فهل لهم أن يتكرموا بذلك ويتوجهوا بأسئلتهم المتعلقة بالتفسير وغيرها إلى إدارة المجلة وفى أقلام كتابها الأفاضل مايكفى ويشفى ، مع العلم بأننا سنكتب إن شاء الله تعالى على الوجود لدينا من أسئلتهم ، والله تعالى الموفق بمنه وكرمه .

ج ٣ — الصلاة فى الجبانة جائزة لاشىء فيها مادام الانسان يظن أنها خالية من طرو النجاسات ، فان ظن طرو نجاسة عليها لم يجز له أن يصلى فيها — بناء على المشهور فى المذهب من وجوب إزالة النجاسة — فان صلى أعاد الصلاة أبداً ، فان شك فى النجاسة وعدمها ثم صلى أعاد مادام الوقت باقياً ، فان خرج الوقت بأن اصفرت الشمس بالنسبة للظهرين وطلع الفجر بالنسبة للعشائين وطلعت الشمس بالنسبة لصلاة الصبح فلا إعادة عليه والله أعلم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفتاوى والأحكام

أسسنا شركة تعاون منذ ثلاثة أعوام بورش جبل الزيتون بالقبارى ومعنا أربعة أسئلة متعلقة بها، نرجو الاجابة عنها على صفحات مجلة الاسلام الغراء. وهى :

س ١ — هل يجوز للمشترك أن يذهب مع بعض المختصين بأعمال الشركة إلى محلات التجارة كمحلات الأقمشة لشراء مايلزمه مع علم المشترى بأصل ثمن البضاعة وإضافة ١٥ فى المائة ربحاً للمبلغ .

س ٢ — هل يجوز للمشترك فى هذه الشركة أن يأخذ جنيهاً مثلا من الشركة لشراء مايلزمه مع إضافة ١٥ قرشاً ربحاً للمبلغ .

س ٣ — هل يجوز لغير المشترك أن يأخذ نقوداً من الشركة على ضمانة أحد المشتركين لشراء مايلزمه أو ليتصرف بالمبلغ كما يشاء مع إضافة ١٥ فى المائة ربحاً للمبلغ وفى هذه الحالة يكون المسئول عن رد هذا المبلغ الضامن المشترك .

س ٤ — للشركة اتفاق مع بعض المحلات التجارية على أن الشركة تشترى مايلزم لها مع تلك المحلات مع أخذ ٣ فى المائة عمولة للشركة وفى هذه الحالة يباع الشىء المشترى للمشترك ويضاف على ثمنه الأصلى ١٣ فى المائة فيكون مجموع أرباح الشركة ١٥ فى المائة .

عبد الرازق عبد الله برشمجى

(الاجابة) الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ج ١ — إذا قال طالب السلعة فى هذه الصورة لهذا المختص الذى ذهب معه إلى محلات التجارة ليشترى له ماطلبه (اشتر لى) منعت لما فيها من تهمة سلف جر نفعاً لأنه كأنه أسلفه ثمن السلعة الأصلى ليأخذه منه بزيادة خمسة عشر فى المائة ، وأما إذا لم يقل (اشتر لى) وإنما كلفه فقط بشرائها لنفسه واتفق معه على أن يشتريها منه بعد ذلك بزيادة ، فقد اختلف فقهاؤنا فى ذلك فقيل يمنع لأن تهمة السلف بالمنفعة لا تزال موجودة ، وقيل يجوز لبعد هذه التهمة فى هذه الحالة فلا يعول عليها وهذا هو الأرجح ، وهذا كله إذا اتفقا على أن طالب السلعة يدفع الثمن مؤجلا كما هو ظاهر كلام حضرة السائل ، أما إذا اتفقا على أن الطالب يدفع الثمن مع الزيادة المذكورة فوراً فان صرح بقوله (اشتر لى) كأن يقول له اشتر لى السلعة الفلانية بمائة مثلا نقداً وأنا آخذها منك بمائة وخمسة عشر نقداً أيضاً منع إن شرط الطالب على هذا المختص دفع الثمن وهو المائة نقداً فان دفعه بغير شرط من الطالب بل تطوعا جاز كما يجوز نقد الآمر نفسه بأن يقول له اشتر لى السلعة الفلانية بمائة نقداً — ودفعها له بالفعل — وأنا آخذها منك بمائة وخمسة عشر نقداً ، وتكون هذه الخمسة عشر بمثابة أجرة له ، وإن لم يقل اشتر لى — والفرض أنهما اتفقا على أن الثمن يدفع نقداً — كان مكروهاً وقيل يجوز من غير كراهة والله أعلم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ج ٢ — لايجوز ذلك لما فيه من السلف بمنفعة وهو ربا ممنوع .

ج ٣ — لايجوز هذا أيضاً لأنه كسابقه .

ج ٤ — حكم هـذا السؤال الجواز لعدم موجب الحرمة إذ لاحرج على التاجر فى أن يشترى بقليل ويبيع بأكثر منه والله أعلم .

س ٥ — مسيحى بنى مسجداً للمسلمين ، فهل تصح فيه صلاة الجمعة والجماعة ؟

س ٦ — اعترض معترض على الصيغة المشهورة بالصيغة الـكمالية فى الصلاة على حضرة النبى ﷺ بقال إن كمالات الله تعالى لاتعد ولا تتناهى فلا تصح الصلاة على النبى ﷺ بهذه الصيغة .

ورد لنا هـذان السؤالان فى خطابين أحدهما بتوقيع (أحمد حسين جاد الحداد ببنى مزار) والآخر بتوقيع (أحمد إسماعيل سكرى شيخ ببندر بنى مزار)

ج ٥ — قال الامام الدردير فى شرحه على مختصر الشيخ خليل فى باب الوقف مانصه (وبطل — يعنى الوقف — من كافر ولو ذمياً كمسجد ورباط من كل منفعة عامة دينية) اه ، قال محشيه العلامة الدسوقى : قوله من كل منفعة عامة دينية) من جملتها بناؤه مسجداً ، ولبطلان القربة الدينية من الـكافر رد مالك منار نصرانية عليها حين بعثت به إلى الـكعبة . وأما القرب الدنيوية كبناء قناطر وتسبيل ماء ونحوها فصح اه) وعلى هذا فصلاة الجمعة فى هذا المسجد الذى بناه المسيحى المذكور غير صحيحة ويؤيده أن الفقهاء شرطوا فى صحة الجمعة وقوعها فى المسجد المبنى بناء معتاداً الخارج لوجه الله تعالى لخصوص الصلاة والعبادة كما قال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) ومعلوم بالضرورة أنه لايكون خارجا لله إلا إذا كان بانيه وواقفه مسلماً . وأما صلاة غير الجمعة فهى وإن لم تكن جائزة شرعا إلا أنها صحيحة فى حد ذاتها بمعنى أنه يسقط بها الفرض ، فتلخص أن الصلاة فى هذا المسجد لاتجوز مطلقاً وكذلك أخذ الامام والمؤذن للأجرة من صاحبه على ذلك ، وأن صلاة الجمعة تزيد بأنها غير صحيحة ويجب قضاء ماصلى منها فيه ، وأما غيرها من الصلوات فلا قضاء فيها ، والفرق أن الجمعة لها شروط تختص بها منها وقوعها فى المسجد كما سبق والله أعلم

ج ٦ — الاعتراض على هذه الصيغة له مدة من الزمن وقد أجاب العلماء عنه بما فيه الـكفاية ، وألف فيه — على مابلغنا — فضيلة الأستاذ الـكبير المرحوم الشيخ محمد بخيت رسالة مخصوصة ، وممن تصدى لذلك العلامة المحقق مولانا الشيخ أحمد الطاهر الحامدى سقاه الله تعالى شآبيب رحمته ورضوانه فى كتابه المسمى (مطية السالك) وهو متداول ومطبوع على هامش شرحه المسمى بالـكشف الربانى على نظم المورد الرحمانى لأستاذه العارف بالله تعالى سيدى أحمد بن شرقاوى رضى الله عنه وعنا به ، وخلاصة جوابه أن الـكمال فى قول المصلى بالصيغة المذكورة (عدد كمال الله) لايتعين أن يكون المراد به الـكمال القديم الذى هو صفة الحق جل شأنه بل يمكن أن يكون المراد به كمال الله الذى أفاضه على من اختاره من خلقه وهو حادث متناه على أنه لايسلم أن العدد يوهم التناهى لأن مراتبه لاتتناهى كما هو مشهور فهو بحسب مايضاف إليه من متناه وغيره ، وهذا القدر فيه الـكفاية لمن أنصف وغيره لا كلام لنا معه والله أعلم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

س ٧ — أنا أشتغل مع رجل نصرانى فمات ، هل يجوز لى أن أمشى خلف جنازته أم لا ؟

س ٨ — معنا رجل نصرانى عندما عطست قال لى يرحمكم الله ، فهل أرد عليه يهديكم الله للاسلام أو أرد عليه كما أرد على المسلمين ؟

س ٩ — معنا رجل مسلم وعندما تمر واحدة من نساء المسلمين يقول للنصارى الذين معنا تعالوا تنظر فقلت له هذه أختك فى الاسلام فلم يرض بكلامى ، فهل إذا خاصمته لأجل ذلك يكون على إثم أم لا ؟

س ١٠ — معنا رجل خفير فى الشغل يأخذ من الباعة نقوداً ، وإذا لم يعطوه منعهم من البيع بل إنه يأخذ من الشحاذين ، فهل هذا حرام ؟

س ١١ — أنا أخذت من رجل نصرانى نقوداً سلفاً وقبل أن أردها له مات وبحثت عن أقاربه فلم أجد أحداً ، فقال لى واحد من جيرانه : إن له أقارب فى بلده ولكنه لم يعرف عنوان أقاربه ، فكيف نتصرف فى هذه النقوذ ؟ أحد قراء مجلة الاسلام

ج ٧ — مشى المسلم فى جنازة الكافر لايجوز ، وفى ص ٢٦ من العدد ٤١ للسنة السابعة كلام واف فى هذا الموضوع لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان .

ج ٨ — نعم المطلوب أن ترد عليه بقولك هداك الله ونحوه ولا تقول يرحمك الله إلا إذا قصدت أنه يرحمه بالدخول فى الاسلام والتوفيق للعمل الصالح ، وقد كان بعض العلماء يدعو للكفار بالرحمة والمغفرة ودخول الجنة ويقصد بعد أن يدخلوا فى الاسلام ويعملوا بأسباب الرحمة والمغفرة .

ج ٩ — لاإثم عليك فى مخاصمة هذا الرجل وهجرانه إن صح مانسبته إليه ، بل هذا هو الواجب المحتم عليك لاصراره على معصية الله تعالى وسواء كان ينظر إلى مسلمات أو غير مسلمات .

ج ١٠ — هذا الخفير إن صح ماوصفته به فهو ظالم لأكله أموال الناس بالباطل ، ويجب على من بسط الله عليه يده تأديبه وإيقافه عند حده .

ج ١١ — يجب عليك بذل الجهد فى البحث عن أقارب هذا الشخص ودفع المبلغ المذكور إليهم متى كانوا ورثة له ، ونظن أن العثور عليهم ممكن متى اجتهدت فى البحث عنهم ، فان لم يكن له أقارب يرثونه وجب عليك أن تدفعه فى أى مشروع من المشروعات الوطنية والخيرية العامة ، وأولاها بذلك مشروع للدفاع الوطنى والله أعلم .

س ١٢ — رجل يحلف بالطلاق فى الأشياء التى يريد فعلها أو تركها ويحنث فى جميعها أو غالبها ، هذه عادته ، ومع ذلك طلق زوجته ثلاث مرات متفرقات ، فهل لا تحل له إلا بعد زوج وتعد جميع أيمانه بالطلاق لغواً ، أو هى محرمة عليه من يوم بلغت أيمانه بالحنث ثلاث مرات ؟

س ١٣ — رجل حديد الطبع فهل إذا بلغ به الغيظ منتهاه من انتفاخ أوداجه وانقلاب عينيه واحمرار وجهه ، فهل من قائل يقول بعدم وقوع الطلاق فى هذه الحالة ولو خارج المذهب ؟

س ١٤ — رجلان ورثا عن أبيهما أرضاً بها شجر فقسماها أشطاراً ، وحيث إن الشجر فى جهة من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأرض أكثر من الأخرى فقد بقى لأحدهما شجر بحصة أخيه ، فهل إذا قطع الشجر الذى له بحصة أخيه يكون له الحق فى الأرض التى كان بها شجره مع أن الأرض قسمت أشطاراً بينهما أولا بحيث لم يبق لأحدهما فى حصة الآخر ولا شبر واحد ؟ صالح بن محمد العجيلات ـ طرابلس الغرب

ج ١٢ ـــ زوجة هذا الرجل محرمة عليه من اليوم الذى بلغت فيه أيمانه السابقة بالحنث ثلاث مرات ولا تحل له بعد ذلك حتى تنكح زوجا غيره نكاحا صحيحاً مستوفياً لشروطه وأركانه ، وذلك لأنه متى وطئها بعد طلاق حنث فيه يعتبر وطؤه لها بمثابة رجعة بناء على قول من يقول بأن الوطء رجعة ، فاذا طلق بعد ذلك وحنث كان طلاقا لها وهى فى عصمته وبالوطء يعتبر مراجعاً لها ، فلو حلف بعد ذلك مرة ثم حنث فقد كمل له ثلاث تطليقات فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره نكاحا صحيحاً مع الوطء ، وليس لقائل أن يقول إنما يلزمه تجديد عقد عليها فقط وتحل له دون أن تنكح غيره بحجة أنه متى طلق وحنث فى أول مرة ولم يحدث لها رجعة حتى انقضت العدة الشرعية فقد بانت منه وحينئذ يكون كل ماأوقعه عليها بعد ذلك من الطلاق لغواً غير معتد به لكونه لم يصادف محلا لبينونتها منه ، لأنا نقول لهذا القائل إن قص وطئه لها واسترساله عليها بعد الطلاق والحنث يعتبر رجعة فى هذه الحالة كما قلناه آنفاً وقد نبه عليه الفقهاء فى موضعه والله أعلم .

ج ١٣ ـــ الغضب ولو اشتد لا يكون مانعاً من وقوع الطلاق ، وقد بلغنا أن بعض المتأخرين من الحنفية أفتى بعدم وقوع الطلاق عند اشتداد الغضب ، ولكنا لا نتحمل الافتاء بهذا الرأى ولا نرضى لأحد أن يعمل بذلك والله أعلم .

ج ١٤ ـــ هذه القسمة إن كانت وقعت بالمراضاة فهما على ماتراضيا عليه وعلى حسب ماتم عليه الاتفاق بينهما يكون العمل ، وإن وقعت بالقرعة فقسمة القرعة من شروطها إذا كان المقسوم أرضاً بها شجر مفرق فيها كما هو الظاهر فى المسألة التى معنا أن تقع القسمة على الأرض ويكون الشجر تابعاً لها ، وعلى هذا فلا يكون لأحدهما شجر بحصة أخيه بل كل واحد منهما يختص بالشجر الذى فى حصته قل أو كثر ، وإذا وقع خلاف ذلك يكون من الخطأ فى القسمة وعليهما إعادتها مرة أخرى على الوجه الشرعى بأن يجعلا التعويل على قسمة الأرض ويجعلا الشجر تبعاً لها أو يقسما بالمراضاة وهما على ماتراضيا عليه والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟ عبد الجواد محمد الدومى ـ خطيب مسجد الزيتى بالسبتية

أسئلة وأجوبة

س ١ — طفل سنه شهران تركه أبواه عند رجل ليقوم بتربيته ، فأرضعته زوجته وقاما بتربيته حق القيام ، حتى إذا بلغ من العمر عشر سنوات توفيت زوجة الرجل ، فتزوج بامرأة أخرى ومكثت معه خمس سنوات ثم طلقها ، والآن بلغ عمر الولد إحدى وعشرين سنة ويريد التزوج بهذه المرأة التى طلقت ، أفيجوز له ذلك نظراً لكونه لم يرضع منها بل رضع من الزوجة الأولى أم لا؟ ألتمس الافادة بما يقتضيه المنهج الشرعى ، ولكم الفضل والثواب احمد محمد خليل وكيل بريد سابقاً بنفيشه خط السويس

ج ١ — إذا كان اللبن الذى رضع منه هذا الطفل نزل للزوجة الأولى بواسطة زوجها (الرجل الذى ربى هذا الولد) صار هذا الرجل أبا لهذا الرضيع ، وحرم على هذا الولد التزوج بهذه المرأة المطلقة لأنها فى هذه الحالة زوجة أبيه من الرضاع وهى حرام كالنسب ، ذلك لأن الشارع جعل بين هذا الولد والرجل رابطة قوية بسبب الرضاع ، حتى سمى هذا الرجل أبا لهذا الولد من الرضاع فلا ينبغى قطع تلك الرابطة بتزوج زوجة أبيه من الرضاع ، لأن تزوجها يغرس بينهما شجر البغضاء فيصيران عدوين بعد أن كان أحدهما أبا والآخر ابنا

س ٢ — أسمع كثيراً من الناس يقول (النادر لاحكم له) فهل هذا حديث أرجو الجواب ولكم الثواب عبد التواب احمد عبد الفتاح بمصر الجديدة ومن قراء المجلة

ج ٢ — هذا ليس بحديث بل هى قاعدة من كلام الفقهاء ، ومعناها عندهم لم يكن للنادر حكم يخالف الغالب بل حكمه حكمه .

س ٣ — توفى رجل وترك زوجة وبنتين وبنت ابن فما نصيب كل واحد من هؤلاء الورثة شرعا .. على فرج عبد الرحمن

ج ٣ — الثمن $\frac{1}{8}$ للزوجة فرضا ، $\frac{7}{8}$ للبنتين فرضا وردا بالتساوى بينهما ولاشىء لبنت الابن لحجبها فى هذه الحالة بالبنتين وتخرج المسألة من ستة عشر سهما للزوجة $\frac{2}{16}$ ولكل بنت من البنتين فرضاً $\frac{8}{16}$ وردا والله أعلم

أسئلة وأجوبة

أرجو أن تبينوا لنا معنى قول النبى عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع مايحرم من النسب وأقوال العلماء فيه والأمر مهم أملى توضيحه بصفحات المجلة .جلال عبد الحميد

الجـــواب : هذا الحديث وارد فى الصحيحين عنه ﷺ ، وقد جاء فى بعض طرقه : إن الرضاعة تحرم ماتحرمه الولادة ؛ وفى بعضها يحرم من الرضاع مايحرم من الولادة ، وفى رواية قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : جاء عمى من الرضاعـة يستأذن على فأبيت أن آذن له حتى أستأمر رسول الله ﷺ . فلما جاء رسول الله ﷺ قلت إن عمى من الرضاعة استأذن على فأبيت أن آذن له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فليلج عليك عمك قلت : إنما أرضعتنى المرأة ولم يرضعنى الرجل . قال : إنه عمك فليلج عليك، وعنها أيضا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها، وأنها سمعت صوت رجل يستأذن فى بيت حفصة قالت : فقلت : يارسول الله هذا رجل يستأذن فى بيتك فقال رسول الله ﷺ : أُراه بضم الهمزة . أى أظنه فلانا؛ لعم حفصة من الرضاعة فقالت عائشة: يارسول الله لو كان فلان حيا—لعمها من الرضاعة دخل على . قال رسول الله— ﷺ: نعم إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة . وفى هذه الروايات كلها ثبوت حرمة الرضاع وقد أجمعت الأمة على ثبوتها بين الرضيع والمرضعة وأنه يصير ابنها فيحرم عليه نكاحها أبدا و يحل له النظر إليها والخلوة بها والمسافرة معها ، مالم يغلب الفساد كأن يكونا أو أحدهما من ذوى الطباع البهيمية والملكات الخسيسة ، ولا تترتب أحكام الأمومة من كل وجه: فلا يتوارثان ، ولا يجب على واحد منهما نفقة الآخر ، ولا ترد شهادته لها ونحو ذلك. بل هما كالأجنبيين فى هذه الأحكام ، وأجمعوا أيضاً على انتشار الحرمة بين المرضعة وأولاد الرضيع و بين الرضيع وأولاد المرضعة وأنه فى ذلك كولدها من النسب لهـذه الأحاديث ، وأما بين الرضيع والرجل المنسوب ذلك اللبن إليه لـكونه زوج المرأة أو وطئها بملك أو شبهة فمذهب كافة العلماء — إلا أهل الظاهر وابن علية—ثبوت حرمة الرضاع بينهما وأن الرضيع يصير ولداله وأولاد الرجل إخوة الرضيع وأخواته وتـكون إخوة الرجل أعمام الرضيع، وأخواته عماته، وأولاد الرضيع أولاد الرجل ، عملا بالأحاديث الصحيحة الواردة عنه ﷺ كالروايات المتقدمة وغيرها ، وقال أهل الظاهر وابن علية : لاتثبت حرمة الرضاع بين الرجل والرضيع تمسكا بقوله تعالى (وأمهاتـكم اللاتى أرضعنـكم ، وأخواتـكم من الرضاعـة) ولم يذكر البنت والعمة كما ذكرهما فى النسب ، وهذا الاستدلال ضعيف لأن ذكر الشىء لايدل على سقوط الحكم عما سواه، فتحريم الأمهات والأخوات من الرضاعة لايدل على عدم تحريم سواهما ، هذا على فرض عدم ورود السنة بالتحريم

فكيف وقد جاءت الروايات الصحيحة المتقدمة بذلك ؛ وقد روى أن امرأة من أسد أتت عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، فقالت له : بلغني أنك لعنت كيت وكيت والواشمة والمستوشمة ، وإنى قرأت مابين اللوحين فلم أجد الذى تقول ، فقال لها عبد الله : أما قرأت (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله) ؟ قالت : بلى . قال : فهو ذاك . يعنى أن اللعن المذكور وارد فى السنة النبوية التى شهد القرآن بصحتها ودل على اعتبارها بهذه الآية ونحوها . واختلف العلماء فى القدر الذى يثبت به حكم الرضاع فمذهب الشافعى وأصحابه أنه لايثبت بأقل من خمس رضعات . وقال مالك وأبو حنيفة والجمهور : إنه يثبت برضعة واحدة . بل عندنا متى وصل لبن المرأة ولو ميتة أو صغيرة لجوف الرضيع — لا الكبير ، ولا إن وصل للحلق فقط — وإن بسعوط . أى صب فى الأنف . أوحقنة فى الدبر تغذى، فإنه ينشر الحرمة ويثبت أحكام الرضاع ، وقد استدل الشافعى وأصحابه بحديث عائشة رضى الله عنها : خمس رضعات معلومات يحرمن ؛ وأخذ مالك ومن وافقه بقوله تعالى (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم) ولم يذكر عدداً لا خمساً ولاغيرها . هذا وقد استثنى العلماء من الأحاديث السابقة الدالة على تحريم الرضاع ما يحرمه النسب ست مسائل أشار لها العلامة الدردير فى شرحه لمتنه أقرب المسالك بقوله : إلا أم أخيك أو أم أختك فقد لاتحرم من الرضاع ، كما لو أرضعت أجنبية أخاك أو أختك وهى من النسب إما أمك أو امرأة أبيك . وإلا أم ولد ولدك من الرضاع فقد لاتحرم عليك وهى من النسب إما بنتك أو زوجة ولدك . وإلا جدة ولدك من الرضاع . كما لو أرضعت أجنبية ولدك ، فلا تحرم عليه أمها وهى من النسب إما أمك أو أم زوجتك . وإلا أخت ولدك من الرضاع كما لو رضع ولدك امرأة لها بنت فلك نكاح البنت وهى من النسب إما بنتك أو بنت زوجتك . وإلا أم عمك وعمتك من الرضاع وهى من النسب إما جدتك أو زوجة جدك . وإلا أم خالك وخالتك من الرضاع فقد لاتحرم عليك وهى من النسب إما جدتك أم أمك وإما زوجة جدك أبى أمك : فهذه الستة من الرضاع لايحرمن وقد يحرمن لعارض كما لو كانت أخت ولدك من الرضاع بنتك من الرضاع أيضا : والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وجاءنا خطاب من حضرة المحترم (محمود أحمد إبراهيم بملوى) يطلب فيه زيادة الإيضاح فى :(ا) بيان حكم الرجل الذى يؤم الناس ويتعمد إبدال الضاد ظاء فى قراءته فى الصلاة سواء أكان فى الفاتحة أم فى غيرها فيقول (الظالين) بدل (الضالين) ويقول (أفمن اتبع رظوانه) بدل (رضوانه) (ب) وفيما قيل من أن حكمة اعتداد المرأة المتوفى عنها زوجها بأربعة أشهر وعشر هى أن الجنين لايتحرك إلا بعد الشهر الرابع وعلى هذا فلا تحقق براءة الرحم إلا فى هذه المدة مع أن الشرع قد قرر فى عدة المطلقة ثلاثة قروء . فلا جرم أن هذه المدة كافية لتحقق البراءة فما هى الحكمة فى تأخير المتوفى عنها إلى الأربعة أشهر وعشر .

الجـــواب : أما عن النقطة الأولى فمذهبنا معشر المالكية : أن من يتعمد إبدال الضاد ظاء فى قراءته

تبطل صلاته لتلاعبه حيث قدر على الصواب وتعمد خلافه . قال الأستاذ الدردير رضى الله عنه فى كتابه أقرب المسالك وشرحه مانصه : وصحت بلحن فى القراءة ولو بالفاتحة إن لم يتعمد وأثم المقتدى به إن وجد غيره ممن يحسن القراءة و إلا فلا . وصحت بغير أى بقراءة غير مميز بين كضاد وظاء بالمعجمتين كما فى لغة بعض العرب الذين يقلبون الضاد ظاء، وأدخلت (الكاف) من يقلب الحاء المهملة هاء، والراء لاما، والضاد دالا ، كما فى لغة بعض الأعاجم . لاتصح إن تعمد اللحن أو تبديل الحروف بغيرها فلا يصلح الاقتداء به اه و إنما كان قلب الضاد ظاء لحنا مع أنه لغة بعض العرب كما قال الشارح لأن القرآن توقيفى ، على أنه يحتمل أن يكون مراد الشارح بقوله بعض العرب بعض الأعراب الموجودين فى هذه الأزمنة المتأخرة وهؤلاء يوجد اللحن فى كلامهم ولا حجة فيما ينطقون به .

هذا وقد كتب فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ حسين سامى بالعدد العاشر من هذه المجلة فى هذه المسألة وحكى فيها قولين عن الشافعية والحنفية وأستحسن موافقة لبعضهم القول بعدم فساد الصلاة وعلى هذا فتكون المسألة خلافية وللسائل الحرية فى اختيار مايشاء من القولين، إن كان مذهبنا هو الراجح فى نظرنا والمختار عندنا لظهور التلاعب عند مخالفة الصواب عمدا والله أعلم .

وأما عن النقطة الثانية فالتحقيق أن العدة و إن كان المقصود منها براءة الرحم فإنها لا تخلو عن شائبة التعبد ولهذا عرفها الفقهاء بأنها تربص المرأة زمانا معلوما قدره الشرع علامة على براءة الرحم مع ضرب من التعبد . ألا ترى أنهم مع كونهم علاوا جعل عدة الحرة فى الوفاة أربعة أشهر وعشرا بأن بالأربعة أشهر يتحرك الحمل وزيدت العشر لأنها قد تنقص الأشهر أو تبطىء حركة الجنين ، قد صرحوا بأن عدة الأمة فى الوفاة شهران وخمس ليال أو ثلاثة أشهر فقط وهذه المدة لايتأتى فيها التعليل المذكور وأيضاً فقد جعلوا العدة فى الوفاة ماذكر ولو كانت الزوجة صغيرة لاتطيق الوطء ولا تصلح للحمل عادة . أو كان زوجها غير بالغ . بل ولو لم يحصل منه دخول بها بالمرة . أليس هذا دليلا واضحا على أن مسائل العدة لاتخلو من التعبد والله أعلم ؟

ملحوظـــــة : لايسعنا أن نهج منهج التفصيل والإسهاب فى جميع الأسئلة الواردة إلينا من حضرات القراء لأن كثيراً منهم من يطلب منا فى خطاب واحد الخوض فى جملة موضوعات متنوعه قد تكون متشعبة النواحى ، والبعض منها يحتاج إلى مقال مستقل حتى يستطيع الكاتب ضم أطرافه والإحاطة بمجموع مباحثه وأوقاتنا لاتتسع لذلك كله كما لاتتسع لتلبية جميع الرغبات التى ترد إلينا فى الغالب مقرونة بطلب المبادرة والإسراع فنرجو من حضراتهم أن يعذرونا فى التأخير الذى نضطر إليه أحيانا ، كما نرجو منهم أن يقنعوا منا بالإجمال حينما تدعو الضرورة إلى الإجمال والله الموفق ؟

عبد الجواد محمد الدومى
إمام وخطيب مسجد الزينى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أسئلة وأجوبة

ورد إلينا الكتاب الآتى : يافضيلة الأستاذ ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد . .

فلضرورة الفائدة أرفع إلى فضيلتكم هذه الأسئلة راجياً التكرم بالافادة عنها على صفحات مجلة الاسلام الغراء فى أقرب فرصة ممكنة وهاك الأسئلة :

س ١ — « كبر الكبير على الكبير صدقة » هل هذا حديث ؟ وما آثاره الاجتماعية ؟

س ٢ — ماقول العلماء الأعلام فيما يأتى :

(ا) — رجلان أقاما صلاة جماعة (إمام ومأموم) ثم خرج أحدهما من الصلاة لطارىء .

(ب) — رجل يعتريه فكر وغفلة فى الصلاة فما الحكم فى هذا إذا كان إماما ـ ثم مأموما ـ ثم فذا ؟

(جـ) — رجل لايلم بأحكام الصلاة — صلى إماما — وفى الجماعة من هو أعلم منه — فما الحكم ؟ إذا لحن أو أخطأ فى القراءة أو الصلاة .

(د) — رجل يعمد إلى الكيفية الآتية فى الغسل سواء أكان فرضاً أم سنة أم مندوبا . ينظف جسمه بالماء والصابون ثم يعممه بماء طاهر ثم يتوضأ . ولكم منا الشكر ومن الله الأجر ؟

حامد عبد اللطيف — بمنية الحيط فيوم

جـ ١ — نص الحديث كما ذكره الغزالى رحمه الله فى الاحياء : « إذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا لهم ، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم ، فان ذلك مذلة لهم وصغار » قال مخرج أحاديثه وهو العراقى : « حديث غريب ».

وفى خاتمة الحديث . وهى قوله عليه الصلاة والسلام : « فان ذلك مذلة لهم وصغار » إشارة إلى جواب ماسأل عنه السائل . إذ الكبر من الأمراض النفسية التى لاتستكمل وجودها إلا بآثارها الشاذة التى تنصب على أفراد المجتمع . فاذا ماعولج هذا المرض بسبب ما ، أذهب حدته ، أوأزاله من الوجود كلية ، واستراح المجتمع مما كان يعانيه من شذوذ المتكبرين ، وتصرفاتهم الممقوته .

وقد عرض الغزالى رحمه الله لبعض هذه الآثار بالبيان فقال ، ثم هذه العزة تقتضى أعمالا فى الظاهر والباطن هى ثمرات ، ويسمى ذلك تكبراً . فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى أن حقه أن يقوم ماثلا بين يديه إن اشتد كبره ، فان كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته . فان كان دون ذلك أنف من مساواته وتقدم عليه فى مضايق الطرق وارتفع عليه فى المحافل وانتظر أن يبدأه بالسلام ، واستبعد تقصيره فى قضاء حوائجه وتعجب منه ، وإن حاج أو ناظر أنف أن يرد عليه

وإن وعظ استنكف من القبول ، وإن وعظ عنف فى النصح ، وإن رد عليه شيء من قوله غضب ، وإن علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم ، وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الحمير استجهالا لهم واستحقاراً ، والأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة ، وهى أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى تعدادها فانها مشهورة . انتهى كلامه .

وجلى أن هذه الحالة إنما هى نتيجة الخضوع لسلطان الوهم والاغترار بما يوحى به الشيطان ويوسوس به فى صدر المتكبر . فاذا ماوجد هذا الجهول خنوعاً ممن يتصلون به لتصرفاته الشاذة وقبولا لها ، تضاعف داؤه ، وكثف حجاب غروره ، وازداد إيماناً بعظمته الزائفة ، واستسلاما لأحلامه وأوهامه . وانقياداً لما توحى به نفسه المريضة من تصرفات مقيتة .

اما إذا قوبل بضد ذلك : وصدم فى كبريائه وغروره ، وعومل معاملة من لايؤبه له ، ولايقام لشخصيته وزن ، كانت هذه المعاملة بالنسبة إليه دواء ناجعاً ، إن لم يجتث الداء من أصله خفف من حدته . وذلك لما تحدثه من أثر فى نفسه ، وهزة عنيفة فى مشاعره ، تأخذ شكل الثورة والغضب لأول صدورها من فرد ، فاذا ماتكررت ولاسيما إذا كانت من جمع من المعارف ، هدأت حدتها هدوءاً مضحوباً بشعاع من ضوء العقل المفكر ، يوقظه من سباته ، وينبهه من غفلته . ويقهره على إعادة النظر فى موقفه من معارفه من جديد .

ج ٢ — إذا كان الخارج المأموم ، أتم الامام صلاته منفرداً ، أما إذا كان الخارج هو الامام ، فان كان سبب الخروج من الأسباب المبيحة للاستخلاف (كأن خشى تلف نفس أو مال له بال بأن كان يجحف به ، فيما إذا استمر ، أو عجز عن ركن من أركان الصلاة ، أو سبقه حدث أو تذكره ، أو طرأ عليه جنون أو إغماء أو موت) جاز للمأموم أن يستمر فى صلاته ، ويتمها ويقرأ من حيث وقف الامام إن عرفه وإلا بدأ من أول الفاتحة . أما إذا كان الخروج لغير هذه الأسباب فانها تبطل على المأموم تبعا لبطلانها على الامام .

ج ٣ — أما الحكم من حيث الأجر ، فتنقصان ثوابه بقدر غفلته ، إذ ليس للمصلى من صلاته إلا ما عقل منها وحضر قلبه مع الله فيها ، ويجب شرعا على المصلى أن يقاوم وسواس الشيطان ويدفعه عن نفسه جهد طاقته ، وأن يشغل نفسه بتفهم ما يتلو أو يسبح به ، وبعدد الركعات والتسبيحات ، والاشتغال بهذا هو أكبر مادة تعينه على مغالبة الشيطان .

وأما من حيث صحة الصلاة ، وإسقاط الفريضة بها ، فالمأموم يحمل عنه إمامه سهوه حيث كان ذلك فى السنن لا فى الأركان . وأما الامام والفذ ، فان كان سهوه متعلقا بسنة مؤكدة أو سنتين خفيفتين فأكثر ، سجد للسهو قبل السلام إن كان نقصا ، وبعده إن كان زيادة ، وقبله إن اجتمع نقص وزيادة ، ومن شك فى عدد ركعات صلاته ، بنى على الأقل وأكمل ، وفى ركن من أركانها بنى على اليقين ، وأتى بالركن المشكوك فى فعله وسجد بعد السلام ، على مقتضى التفصيل الخاص بذلك ، ما لم يكن الركن المشكوك فيه تكبيرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاحرام وإلا بطلت الصلاة وابتدأها من جديد .

ومن كثر عليه الشك بأن كان يأتيه كل يوم ولو مرة واحدة لاينقطع ،ومن باب أولى إن كان أكثر من ذلك ، يسجد للسهو بعد السلام فيما شك فيه من الصلوات ولا يطالب بالاصلاح ، ومن كثر عليه السهو على طراز ما ذكرنا فى الشك أصلح صلاته حيث أمكن الاصلاح ولا سجود عليه ، وذلك هو العلاج الوحيد الذى يأتى بسببه التغلب على الشيطان أو تقليل شره .

مثال ما يتأتى فيه الاصلاح أن يكثر عليه السهو فى السجدة الثانية فلا يشعر إلا وقد استقل قائماً ، فان كان تذكره قبل عقد ركوع التى تليها رجع جالسا ثم سجدها وأتم صلاته ولا سجود عليه فيما زاده من الأركان ، أما إذا كان تذكره بعدعقد ركوع التى تليها بالقيام منه معتدلا، بطلت التى قبلها وتراجعت الركعات ويتم ولا سجود عليه ، مادام السهو يأتيه كثيراً كما ذكرنا .

ج ٤ — المقرر شرعا أن تقديم الأعلم أو الأقرأ أو الأفضل الأتقى على غيره فى الامامة ، إنما هو مندوب فقط لا واجب ، فالخروج عليه لا يضر بصحة الصلاة ، أما الشرط الذى لابد من توفره فى الامام بالنسبة إلى هذه الناحية ، فهو علمه بما تصح به الصلاة ، ويكفى فى ذلك أن يأخذ صورة الصلاة الصحيحة عن عالم ، ولو لم يفرق بين فرضها وسنتها ، مالم يعتقد الفرض سنة ، فاذا كان كذلك يؤديها صحيحة فامامته لا غبار عليها والصلاة خلفه صحيحة بشرط ألا يحصل منه فى أثناء الأداء خلل ، فاذا حدث خلل فى الأداء غير قابل للاصلاح ، أو قابل للاصلاح ولكن لم يقم بجبره لجهله ، بطلت الصلاة عليه وعليهم ،ومن ثم يكون تقدم غيره ممن يعد أفقه منه هو الأولى تفاديا من البطلان .

وصحت الصلاة بلحن الامام فى الفاتحة أو غيرها ، بشرط ألا يتعمد اللحن ، وهذا هو القول الصحيح فى المذهب ، ولكن يأثم المؤتم إذا وجد غيره ممن يحسنون القراءة ، أما من يتعمد اللحن فصلاته وصلاة من خلفه باطلة .

وفى حاشية الدسوقى : « حاصل المسألة أن اللاحن إن كان عامداً بطلت صلاته وصلاة من خلفه باتفاق، وإن كان ساهيا صحت باتفاق ، وإن كان عاجزاً طبعا لا يقبل التعليم فكذلك لأنه ألكن ، وإن كان جاهلا يقبل التعليم فهو محل الخلاف سواء أمكنه التعلم أم لا ، وسواء أمكنه الاقتداء بمن لا يلحن أم لا ، وإن أرجح الأقوال فيه صحة صلاة من خلفه ، وأحرى صلاته هو لاتفاق اللخمى وابن رشد عليها . وأما حكم الاقدام على الاقتداء باللاحق فبالعامد حرام ، وبالألكن جائز ، وبالجاهل مكروه إن لم يجد من يقتدى به وإلا فحرام كما يدل عليه النقل » اهـ .

ج ٥ — مثل هذه الصورة حيث عم جسمه كله بعد تنقيته من الصابون بماء طهور ، كافية فى الطهارة غير أن هناك صورة أخرى هى ألصق بالسنة ، يحسن أن نبينها هنا تكملة للفائدة وخلاصتها : أن يبدأ المغتسل بغسل يديه إلى الكوعين ثلاثا ، ثم يزيل ما على جسده من أذى إن كان ، ثم يغسل مذاكيره وما حولها لكى لايضطر إلى لمس قبله فينتقض وضوءه ، وبعد ذلك يتوضأ وضوءاً كاملا مرة مرة ، ثم يفيض

س ٧ — أخوان شقيقان من أهل الصعيد أحدهما يسمى (أحمد) والآخر يسمى (موسى) — تزوج أحمد وأنجب ابنا ثم تزوج موسى بعده بعامين وخلف بنتاً وخلف أحمد ولداً آخر فاشتركا فى الرضاع فهل يجوز لابن أحمد الأكبر أن يتزوج ببنت (موسى) التى رضعت مع أخيه الأصغر بعده بمدة طويلة أولا يجوز ألتمس الجواب الشرعى ولكم الشكر ؟

رجب مصطفى بجمعية الاسعاف بالاسكندرية

س ٨ — رجل موسر ولكنه يتعامل بالربا ولا يصلى ولا يصوم ولا يخرج زكاة أمواله وعنده أولاد فقراء لا يساعدهم بشىء فهل يصح أن تخرج أولاده زكاة أمواله بعد وفاته وأن يجحوا منه أولا ؟

سيد أحمد محمد بقنا

ج ١ — الماء فى هذه الحالة كالمعدوم رأساً فيبقيه لشربه ويتيمم للصلاة لكن بشرط ألا يكون بينه وبين الماء الكافى أقل من ميل وهو أربعة آلاف خطوة وقدره بعض العلماء بسير القدم مقدار نصف ساعة ، وكاحتياجه لنفسه احتياجه لرفيقه المخالط له أولدابته أو لكلابه أو لماشيته أو صيده أو للعجن به سواء أكان الاحتياج إليه فى الحال أم فى المآل — وإنما كان الحكم كذلك دون العكس لأن الشرع جعل للماء بدلا فى إزالة الجنابة وهو التراب عند العجز ولم يكن له بدل عند الاحتياج إليه لازالة الظمأ وأيضاً المحافظة على النفس أولى قال الله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)

ج ٢ — الخياط أجير مشترك والثوب فى يده مضمون عليه إلا إذا هلكت بفعل لا يمكن الاحتراز منه كالسرقة التى لا يستطيع دفعها — وعلى هذا فلا ضمان على الخياط إذا تحفظ فى صيانة الثوب ولم يحصل منه تقصير فى حفظه أما إذا قصر فى ذلك كأن وضعه فى مكان تتردد عليه اللصوص عادة أو ترك الباب مفتوحاً أو لم يكن ثقة ومن عادته الاحتيال لسلب أموال الناس بالباطل فعليه ضمان قيمته غير مخيط ولا أجر له أو قيمته مخيطاً وله أجر الخياطة المتفق عليها والله أعلم ؟

ج ٣ — العقد الأول صحيح متى كان مستوفياً شروطه وأركانه ويترتب عليه آثاره التى منها حل معاشرته لها والتمتع بها . وأما العقد الثانى فغير صحيح لأنه ورد على امرأة غير محل للعقد فان فارقها من نفسه فالأمر ظاهر وإن لم يفارقها وجب على القاضى الشرعى أن يفرق بينهما — فان كان قبل الدخول بها عزرهما القاضى بما يليق بحالهما لاقدامهما على أمر غير جائز شرعاً ومن باب أولى ما إذا كان التفريق بعد الدخول بها ولكن التعزير يختلف لأنهما إن فعلا ذلك عالمين بالحرمة يعاقبهما بأشد العقوبات التى يراها زاجرة لهما عن ارتكاب مثل هذا العمل ورادعة لغيرهما عن الاقدام على مثل عملهما وإن فعلا ذلك غير عالمين بالحرمة يعاقبهما بما يليق بحالهما لأن الأشخاص تختلف بالنسبة للتأثر فيستعمل مع كل ما يراه زاجراً له — وأما المكاتبات الخالية عن صيغة عقد الزواج والمعاشرة التى لم يسبقها عقد شرعى صحيح فلا يكسبان الزوجية ولا يفيدانها بحال من الأحوال — وأما الاعتراف الصريح بالزوجية سواء أكان شفوياً أم تحريرياً فيعتبر تصادقاً على عقد سابق متى شهد عليه شاهدان واستوفى شروطه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الماء على رأسه ثلاثا يعمها بكل مرة ، ثم يأخذ قليلا من الماء فى راحة كفه اليمنى ويضع عليه أذنه اليمنى ويحرك يده بالماء ليعم بالماء صيوان الأذن ثم يدلك ظاهراً وباطنا ، ويفعل مثل ذلك بأذنه اليسرى بواسطة يده اليسرى ، ثم يغسل رقبته أماما وخلفا مرة واحدة ، ثم بعد ذلك يغسل عضده الأيمن ظاهراً وباطنا مرة واحدة يلاحظ غسل أبطه لأن الماء ينبو عنه عادة ، ثم يغسل عضده الأيسر كذلك تكملة لما غسل فى الوضوء ، ثم يفيض الماء على شقه الأيمن مع الدلك يبدأ بأعلى الظهر ثم أعلى الصدر ثم جنبه الأيمن . وبطنه ، ويختص سرته بقبضة ماء مع ذلك داخلها ، ثم يغسل فخذه وساقه ظاهراً وباطنا ، ثم يباشر غسل الشق الأيسر بهذا الترتيب ، وبذلك يتم الغسل على أكمل صوره الشرعية ، وله أن يصلى به فوراً من غير تجديد وضوء مادام لم يمس قبله فى أثناء غسل الفخذين ، والله أعلم .

عبد الجواد محمد الدومى

* * * *

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أسئلة وأجوبة

س ١ ـ نرى أن القرآن الكريم عند ما يتعرض لشيء من قصص الأنبياء عليهم السلام يكرر ذلك ثانية فى موضع آخر بالمعنى الأول بل باللفظ أحياناً ، فما الحكمة فى ذلك ؟

س ٢ ـ أجمع الكل على أن النبى ﷺ أفصح العرب قاطبة وأنه لا يلحقه فى فصاحته إنسان ، فماذا نجيب إذا أورد علينا إنسان شبهة وقال : إن القرآن من عنده ؟

س ٣ ـ نرى فى بعض الكتب أن كل الكتب السماوية بدئت ببسم الله الرحمن الرحيم ، وأن جميع معانيها ـ يعنى الكتب السماوية المتقدمة ـ فى القرآن الكريم ، ومعانى القرآن فى الفاتحة ، ومعنى الفاتحة فى البسملة ، فكيف نفضل القرآن على غيره من تلك الكتب مع أن الكل بدىء بالبسملة ؟

محمد الطاهر حسن حماد ـ من طلبة معهد الزقازيق بأخطاب دقهلية

(الاجابة) الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ج ١ ـ المقصود من ذكر قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى القرآن الكريم هو تثبيت قلب النبى ﷺ وتسلية المؤمنين وحملهم على الاعتبار والاتعاظ بما فيها من الحكم والفوائد الجليلة ، قال تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) وقال تعالى : (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب) والحكمة فى تكرار هذه القصص فى المواضع المتعددة من القرآن (١) تجديد هذه التسلية والتثبيت ، وتكرير لفت النظر إلى مواضع العبرة فيها ، لأن نزول الوحى بها غضة طرية وتلقيها من الأمين جبريل عليه السلام مشافهة كلما حزبه ﷺ أو ناب أصحابه الكرام شىء من أذى الكفار والمشركين أوقع فى النفس وأبلغ أثراً من الرجوع إليها فيما نزل من الوحى الكريم قبل ذلك (٢) ليفصل منها فى موضع ما أجمله فى موضع آخر ويقدم فى مقام ما أخره فى غيره ونحو ذلك مما يعرفه من تتبع هذه القصص وكرر نظره فيها بتدبر وإمعان ، ولا توجد قصة واحدة ذكرت فى موضعين بلفظ وأسلوب واحد أصلا (٣) الدلالة على إعجاز القرآن الكريم واتساع مادة بيانه بأجلى صورة وأبلغ مظهر حيث تفنن فى ترجمة هذه القصص (لأنها لم تكن عربية) وأوردها فى عبارات وأساليب متنوعة مع تمام الجزالة وحسن الانسجام والدقة الفائقة فى مراعاة المناسبات ومقتضيات الأحوال ، إلى غير ذلك من الحكم البالغة والفوائد الجليلة .

ج ٢ ـ النبى ﷺ وإن كان أفصح العرب قاطبة وأفضل الخلق على الاطلاق فى جميع خصال الخير وخلال الكمال ذاتا ومعنى خلقا وخلقا جالا ومقالا فى المكتسب منها وغير المكتسب ، فانه لا مدخل له فى القرآن الكريم أكثر من أنه تلقاه عن جبريل عليه السلام فبلغه كما سمعه من غير تصرف منه فى لفظه أو معناه ، فهو كلام الله تعالى البالغ حد الاعجاز لجميع الخلق من غير استثناء (قل لئن اجتمعت الانس والجن على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) ولو شاء الله تعالى ما تلاه النبى ﷺ ولا درى به أحد . ولقد مكث عليه الصلاة والسلام أربعين سنة قبل نزوله لم يتكلم منه بشىء (قل لوشاء الله مانلوته عليكم ولاأدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون) وقبل هذه الآية (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم) فالقرآن نفسه مصرح بأنه ليس من كلام النبى ﷺ وأنه لايمكنه التصرف فيه مطلقاً بأكثر من تلقيه وتبليغه كما هو من غير تبديل ولا زيادة ولا نقصان ، إذن فالقول بأنه كلامه عليه الصلاة والسلام ومن عنده حتى على فرض أن يكون فى مقدوره الاتيان بمثله (وهذا غير مسلم) ينقضه القرآن نفسه.

ج ٣ ـ ما يقال من اشتمال الفاتحة على معانى القرآن الكريم معناه أنها مشتملة على أمهات مقاصده إجمالا لاتفصيلا كما هو واضح ، وكذا يقال فى قولهم باشتمال البسملة على معانى الفاتحة فان المراد منه أنها متضمنة لمعانيها ومشيرة إليها إشارة إجمالية بطريق الالتزام وعلى هذا فلا يلزم من كون الكتب السماوية مبتدأة بالبسملة أن تكون هذه الكتب مساوية للقرآن فى دلالته المطابقية ومعانيه التفصيلية ، وأيضاً فالبسملة بهذا اللفظ العربى ، وهذا الترتيب المخصوص لم تكن فى الكتب السماوية المتقدمة إذ هى لم تكن عربية كما هو معلوم ، وحينئذ فيجوز أن يكون اشتمالها على معانى الفاتحة المشتملة على معانى القرآن من خصائص هذا اللفظ وهذا الترتيب العربى الخاص ، فلا يلزم من وجودها فى الكتب السماوية المتقدمة مساواة هذه الكتب للقرآن الكريم ، ويؤيده ماشتهر من أن مزايا اللغة العربية وخصائص تراكيبها وأساليبها لا توجد فى اللغات الأخرى والله سبحانه وتعالى أعلم .

س ١ — توفيت امرأة عن أخوين لأب وعن ابنى أخوين شقيقين ، فما نصيب الأخوين لأب وما نصيب ابنى الأخوين الشقيقين . يس احمد شنقير ـ من الشغب مركز إسنا

ج ١ — الأخوان لأب هما اللذان يستحقان التركة كلها فى هذه الحالة ، ولا شىء لابنى الأخوين

س ٢ — ما حكم من تزوج من بنت عمه التى رضع مع أختها الأكبر منها من نفس والدتها قبل ولادة البنت التى تزوجها بأربع سنين ، أو أختها الأكبر منها بهذه المدة رضعت من أم المتزوج بها ، معه أو مع أخته الأصغر منه .

س ٣ — ما الحكم الشرعى فى بنت طلبها ابن عمها الذى كان متزوجا أختها الأكبر منها بعد أن توفيت تلك الأخت فرفضت ذلك متوعدة والدتها إن تم ذلك الزواج بالرغم من أن أهلها يعلمون برفضها فلابد أن تلتحر ، فما حكم الله فى ذلك وهل يلتفت لرفضها هذا نظراً لكونها بالغة عاقلة .

على محمد صالح الشرنوبى التاجر بدراو

ج ٢ — إذا كان الولد هو الذى رضع من امرأة عمه فانه يحرم عليه جميع بناتها ، سواء التى رضع معها أوغيرها ، كن أصغر من التى رضع معها أو أكبر ، أما إذا كانت البنت هى التى رضعت من أمه فانها يحرم عليه زواج هذه البنت فقط ويجوز له أن يتزوج غيرها من أخواتها سواء كن أصغر منها أو أكبر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال العلامة الدردير فى كتابه أقرب المسالك فى مذهب الامام مالك وشرحه : وقدر الرضيع خاصة دون أخوته ولداً لصاحبة اللبن : إلخ

ج ٣ — إذا كان لهذه البنت أب حى فان له جبرها على الزواج فى مذهبنا المالكية ما دامت بكراً ولو كانت بالغة عاقلة ولو بلغت سبعين سنة ، نعم مراعاة المصلحة مطلوبة فاذا تأكد من عزمها على الرفض وتصميمها على الانتحار فى هذه الحالة فلا ينبغى له أن يجبرها خصوصاً وبعض المذاهب الأخرى لا يرى جبرها ما دامت بالغة عاقلة ، وكل من جعل الله تعالى له سلطاناً فلا يصح له أن يستعمله إلا فى المصلحة والخير ، وإلا كان ظالماً متعديا وعلى الحاكم أن يوقفه عند حده وأما إذا لم يكن لهذه البنت أب موجود وليس عليها وصى مأمور من جهته بالاجبار فليس لأحد من الأولياء جبرها على هذا الزواج أو غيره ، بل لابد من إذنها ورضاها والله أعلم .

تنبيه و اعتذار

بالرغم من أننا قد كررنا الاعتذار لحضرات القراء عن الكتابة فى هذه المجلة الغراء التى نعدها مناراً لنشر المبادىء الدينية والثقافة الاسلامية الصحيحة لا لشىء سوى مالدينا من ضعف الصحة وكثرة الشواغل . فلاتزال رسائلهم ترد إلينا بالعشرات . على أننا قد لاحظنا على كثير من الأسئلة الواردة إلينا خصوصا فى هذه الأيام أن معظمها من الامور الواضحة السهلة التى لانرى ضرورة لنشرها ونشر الاجابة عنها فى المجلة . إذ يكفى فيها الرجوع لأى عالم من علماء الجهة وبعضها من المسائل الخلافية كاثبات الكرامات للأولياء وجواز التوسل بهم إلى الله تعالى فى قضاء الحوائج والقول بحياتهم البرزخية وما إلى ذلك مما كتبنا وكتب فيه غيرنا مراراً وتكراراً على صفحات هذه المجلة . وأبدينا رأينا فيه بصراحة تامة . وصرنا نعتقد أن إعادة القول فيه مما لا داعى إليه ولا يترتب عليه كبير فائدة من جهة إقناع المخالفين لنا فيه لجمودهم وظهور مكابرتهم وعنادهم (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا) .

لذلك نرجو من حضرات القراء الذين يتنازلون بوضع ثقتهم فينا وتوجيه أسئلتهم إلينا أن يوضح لنا كل منهم عنوانه الخاص ويجعل أمر النشر فى المجلة موكولا لرأينا لننشر مايترجح عندنا نشره ويغلب على ظننا عموم منفعته وتجيب أجابة خاصة عماعدا ذلك : والله تعالى يوفقنا للرشد ويهدينا إلى سواء السبيل .

عبد الجواد محمد الدومى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة فى فواتح السور

وتفسير آية من كتاب الله تعالى

بعث إلينا شاب مسلم غيور من طلاب دبلوم قسم التجارة بمدرسة الأقباط الصناعية بالفللى خطابا يقول فيه بعد ديباجته الرقيقة : أما بعد فأطلع فضيلتكم على ماهو آت :

إننى طالب بمدرسة قبطية بالقاهرة ،وفى صبيحة يوم من أيام الأسبوع الماضى تقدم إلى بعض تلاميذ مسيحيين ممن يحضرون وعظ بعض القساوسة وطلبوا منى أن أفسر لهم بعض آيات من القرآن الكريم فذكرت لهم عدم كفايتى ومقدرتى على تفسيرها ، ووعدتهم أن أوفيهم بالتفسير بعد الاستعانة والاستفهام من أمثال فضيلتكم ممن لهم دراية بتفسير آيات الذكر الحكيم . وبعد أن تركتهم جال فكرى فى الفضاء وتساءلت مع نفسى عمن أستعين به على أمرى هذا وأخيرا، هدانى المولى سبحانه وتعالى إلى فضيلتكم لما سمعته وعهدته فيكم من معرفة وتقوى وإيمان . . . وهذه هى الآيات التى ألتمس من فضيلتكم التكرم على بشرحها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم . « كهيعص * ذكر رحمت ربك عبده زكريا » « ألم » « قل يأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكفرين » صدق الله العظيم

وبذلك يمكننا أن نقاوم هؤلاء الكافرين الذين يجادلون بغير حق ، ويعتقدون اعتقادات فاسدة ، وخرافات سيئة ، مثل حلول الإله فى جسد المسيح وصلبه لأجل أن يغفر لهم خطيئتهم إلخ . وتكون فضيلتكم قد خدمتم شباب الإسلام وبخاصة الشباب المسلم فى هذه المدرسة التى أدعو الله تعالى أن يحفظ علينا ديننا حتى نتخرج فيها صحيحى العقيدة . وأرجو أن يكون الرد على صفحات مجلة « الإسلام » الغراء إذا سمحت فضيلتكم بذلك . وتفضل بقبول فائق احترامى وعاطر تحياتى ؟ الإمضاء

ونحن نرى من الواجب علينا قبل أن نتكلم على مضمون هذا الخطاب . نزولا على رغبة صاحبه . أن نبدى مزيد أسفنا وشديد امتعاضنا من هذا التساهل الكبير الذى تورط فيه أولياء الأمور الآن . حيث رموا بأفلاذ أكبادهم فى تلك المدارس القبطية ، ونبذوهم فى أحضان أولئك الذين لا يدينون بديننا ولا يحفلون بتقاليدنا وتعاليمنا ، وحيث رضوا باختلاطهم مع غيرهم من أبناء الأديان الأخرى الذين يخوضون بهم غمار المباحثات الدينية ، والمناقشات الإلحادية ، قبل نمو عقولهم ونضج أفكارهم ، فربما التوت عليهم السبل ، وتوارى عنهم وجه الحق ، فيتسرب الشك إلى عقولهم ، والزيغ إلى عقائدهم ، والفساد إلى أخلاقهم ، فيخسرون الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين . وإن الله تبارك وتعالى يقول فى محكم كتابه : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » فما بالهم قد غضوا الطرف عن هذه الآية الكريمة ، وزجوا بأولادهم فى تلك النيران المتأججة ، والمهاوى السحيقة التى تجتاح العقول والأفكار ، وتدمر العقائد تدميرا . ونصيحتنا إلى هذا الشاب المخلص ، والمسلم الغيور ألا يضيع وقته ولا يشغل باله بالجدل مع أولئك الضالين المضلين الذين يجادلون فى الحق بعد ما تبين . وأن يحصر همته وفكره فى الاشتغال بما هو بصدده من تلقى العلوم النافعة ، وتغذية عقله بمطالعة الكتب والمجلات الدينية التى تنمى فيه محبة الدين ، وتعطيه فكرة صحيحة عن عقائده وتعاليمه وآدابه .

والآن نجيبه عما سأل والله تعالى ولى الهداية والتوفيق .

(١) — « الم » — « كهيعص . ذكر رحمت ربك عبده زكريا »

هذا لو كان أولئك التلاميذ المسيحيون قد طلبوا ما طلبوه من تفسير هذه الآيات القرآنية الكريمة لأجل التبصرة والاسترشاد . حتى إذا ظهر لهم الحق اتبعوه وحالفوه ، وإذا تبين لهم الباطل اجتنبوه وخالفوه ، فما زال المشفقون على أنفسهم الحريصون على هدايتهم الخائفون من عذاب ربهم يسألون أهل الذكر عما لا يعرفون من أمر دينهم ، ويطلبون إليهم إزالة ما يساورهم من الشكوك أو يختلج فى صدورهم من الشبه .

ولكن الذى تدل عليه الوقائع ؛ ويستنبط من قرائن الأحوال ، أن أمثال هؤلاء لايطلبون هذا الطلب من مثل صاحبنا إلا ليحرجوه و يعنتوه و يشككوه فى عقيدته الدينية، و يلقوا فى روعه مرة أن القرآن الكريم مشتمل على الحشو والكلمات الساذجة التى لامعنى لها ولا فائدة فيها . ومرة أخرى أنه شاهد بحقيقة دينهم وصحة ملتهم، فلا معنى لذمهم والاعتراض عليهم بعد ذلك فهم لايبحثون عن الحقيقة — و إن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا — بل هم سادرون فى غوايتهم ، مصرون على التمسك بما هم عليه حقاً كان أو باطلا .

ومن البلية وعظ من لايرعوى عن غيه وخطاب من لايفهم

ولكنا بالرغم من هذا كله ندلى بالكلمة الآتية : ولعلنا لانعدم لها منهم منصفاً ونصيرا ، زعم بعض الملاحدة المأفونين قديماً وحديثاً ، أن فى القرآن الكريم كلمات جوفاء خالية عن المعنى لافائدة فيها ولا حكمة فى وجودها ، هى فواتح السورة الكريمة نحو « الم » « المص » « كهيعص » إلخ إلخ . . ومن له أدنى مسكة من العقل، وأقل حظ من النظر لايرتاب فى بطلان هذا الزعم الذى إن دل على شىء فإنما يدل على حماقة قائليه وسخافة عقولهم ، فإن الفواتح المذكورة لو كانت بهذه المثابة كما يزعمون لكان العرب وهم الفصحاء اللد أهل اللسان ، وأمراء البيان ؛ أوسع من أقلت الغبراء وأظلت الخضراء معرفة بأساليب الكلام وفنون النثر والنظم ، أولى بمعرفة ذلك والوقوف عليه من سواهم . ولقد سمعوا القرآن وتأملوه سورة سورة وآية آية و وقفوا على فواتح سوره وخواتمها، ومبادىء آيه ومقاطعها، ومجارى ألفاظه ومواقعها . كما وقفوا على مضارب أمثاله، ومساق أخباره، وصور عظاته وتنبيهاته، وغير ذلك من مشتملاته ومحتوياته، فما وجدوا فى جميع ذلك شيئاً ينكر أو عيباً يذكر بعد طول التفحص والتنقيب وكثرة التفتيش والتقليب . و بعد أن دعاهم النبى ﷺ إلى معارضته وتحداهم به المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة وهو يستحث وقتهم ، و يستثير نخوتهم ويقرعهم و يوبخهم و يسفه أحلامهم ، و يعيب معبوداتهم، حتى اعترفوا بالعجز والقصور وآثروا أن يتعرضوا لمواقع السيوف، وموارد الحتوف، دون الوقوف أمام هذا الفرقان، والمجازفة بدعوى الإتيان بما يوازيه أو يدانيه من ضروب البيان، كيف وقد وصفوه على فرط العداوة له بقولهم : إن له لحلاوة و إن عليه لطلاوة و إن أسفله لمغدق و إن أعلاه لمثمر وما هذا بقول بشر . ولقد شهد عقلاء الأوربيين وحكماؤهم لهذا الكتاب العزيز بما لايقل عن شهادة العرب له فالطعن فيه بعد هذا كله مما لايلتفت إليه ولا يصح التعويل عليه .

على أنه إن جاز لأحد أن يطعن فى القرآن المجيد و يصفه بالتناقض أو الاحتواء على أشياء لامعنى لها فليكن من غير أهل العقائد الضالة المهينة على الجمع بين المتناقضات، والقائلة بوحدة المتعددات والحكمة بأفضح القبائح وأقبح الفضائح . ولهذا أخذ العقلاء والمفكرون منهم يتزحزحون عن هذه المعتقدات ويدخلون فى دين الله أفواجا .

وهذه نبذة يسيرة مما ذكره العلماء فى شأن تلك الفواتح الكريمة وما أريد منها ، فقد قيل : إنها

أسماء للسور المصدرة بها ، وهو قول الأكثرين ، وإليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا : سميت السور بها إيذاناً بأنها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ فيكون فيه إيماء إلى الإعجاز والتحدى على سبيل الإيقاظ ، فلولا أنه وحى من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ، قال القفال : وقد سمت العرب بهذه الحروف أشياء ، فسموا بلام والد حارثة بن لام الطائى وقالوا للنحاس : صاد، وللنقد : عين، وللسحاب غين ، وسموا الحوت نونا ، والمسمى : هو المجموع (أعنى السورة وفاتحتها) لاهذه الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الأمر دخول الاسم فى المسمى ولا محذور فى ذلك ، وقيل إنها أسماء للقرآن وهو قول السدى وقتادة وغيرهما ، وقال المبرد : وإليه جنح أهل التحقيق إنها مسرودة على هذا النمط لتكون إيقاظاً لمن تحداهم القرآن وتنبيها لهم على أنه مؤلف ومنتظم من عين ماينظمون منه كلامهم من هذه الحروف التى هم قادرون عليها فلولا أنه خارج عن طوق البشر نازل من عند خالق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم ولا عجزت قدرتهم — وهم فرسان حلبة الحوار وأمراء الكلام فى نادى الفخار — دون الإتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه . أو ليكون مطلع مايتلى عليهم من هذا الكتاب العزيز مستقلا بنوع من الغرابة وأنموذجا لما فى الباقى من فنون الإعجاز فإن النطق بالحروف نفسها وإن كان على طرف الثمام . « أى سهل التناول » يتناوله الخواص والعوام لكن التلفظ بأسمائها إنما يتأتى ممن درس وخط ، وأما مالم يحم حول ذلك قط فأعز من بيض الأنوق وأبعد من مناط الثريا، لاسيما إذا كان على نمط عجيب وأسلوب غريب يحار فى فهمه أرباب العقول وتندهش منه ألباب الفحول . وقيل إن الكفار لما تواصوا بالإعراض عن الإيمان، وصمموا على عدم الإصغاء إلى القرآن، أراد الله تعالى لما أحب من صلاحهم ونفعهم أن يورد عليهم مالا يعرفونه ليكون ذلك سبباً لإسكاتهم واستماعهم لما يرد عليهم من القرآن فأنزل الله تعالى هذه الحروف ليقولوا إذا سمعوها كالمتعجبين: سمعوا إلى مايجىء به « محمد عليه الصلاة والسلام » فإذا أصغوا فجأتهم بلاغة القرآن فكان ذلك سبباً لاستماعهم وطريقاً إلى انتفاعهم .

واختار الحافظ السيوطى وجماعة أنها من المتشابه جريا على مذهب السلف القائلين باختصاص الله تعالى بعلم المقصود منها . كما روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : لله تعالى فى كل كتاب سر، وسره فى القرآن أوائل السور . وعن ابن عباس رضى الله عنهما عجزت العلماء عن إدراكها . وسئل عنه الشعبى رضى الله عنه فقال : سر الله عز وجل فلا تطلبوه . ولا نعد فى ذلك كما لا بعد فى أن يكلفنا الله تعالى بما لا نفهم سره ، ولا نعرف وجه الحكمة فيه كرمى الجمرات فى الحج .

بل الطاعة فى هذا النوع أدل على كمال الانقياد ونهاية التسليم الذى هو روح العبادة والمقصود الأصلى منها ، فبان أن دعوى الحشوية فى فواتح السور الكريمة دعوى من يرمى القول جزافا ، أو يلقيه على عواهنه ، وهى على هذيان مدعيها ، وفساد جوهر عقله أدل منها على شىء آخر . وأى عقل إنسانى صحيح

يستطيع أن يجحد إعجاز القرآن الكريم وما له من الفضل الظاهر والأثر الخارق فى اللغة والعلم والأخلاق والآداب الشخصية والاجتماعية وهو الذى قوم طباع العرب النافرة، وهذب ملكاتهم المنحرفة، ونقلهم من حياة البداوة والجفاء، إلى حياة الحضارة والمدنية الصحيحة الراقية . ولقد أجمع العقلاء من المسلمين وغير المسلمين على أن الله تعالى قد برّأ هذا الكتاب العزيز عن كل مالا تسيغه العقول السليمة . أو تمجه الطباع المستقيمة .

وما أحسن قول من قال :

عاب الكلام أناس لا خلاق لهم ... وما عليه إذا عابوه من ضرر

ماضر شمس الضحى فى الأفق طالعة ... ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

ومن يضلل الله فلن تجد له ولياً مرشداً .

(٢) — قال الله تعالى : « قل يأهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين »

لا نركب شططاً ولا نذهب بعيداً إذا ما قلنا إن المقصود من إيراد هؤلاء المعاندين لهذه الآية الكريمة وطلبهم تفسيرها من صاحب الخطاب الآنف الذكر ليس إلا مخادعته . والتشويش على فكره بإيهامه أن القرآن الكريم الذى يدين به ويذعن له هاهو شاهد بصحة ملتهم وصدق وجهتهم حيث طالبهم بإقامة الإنجيل والعمل بما فيه من التنزيل .

وقبل : أن نوقفهم على المعنى الحقيقى للآية الكريمة الذى غفلوا أو تغافلوا عنه نذكرهم بأنهم قد حفظوا شيئا وغابت عنهم أشياء ، فإن مقتضى احتجاجهم بهذه الآية وهى إحدى آيات الكتاب العزيز أنهم مقتنعون بصحة هذا الكتاب ، راضون بحكمه ، مسلمون لقضائه . فهل هم كذلك ؟ إذاً يجب عليهم أن يصدقوا هذا الكتاب فى قوله : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ، وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم : أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون » وفى قوله : « يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا »

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفى قوله (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وفى قوله (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) وفى قوله (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد » وفى قوله (ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) (محمد ﷺ) يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) وفى قوله (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) وفى قوله (ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) .

إلى غير ذلك من الآيات العديدة الفاضحة لهم ، الناعية عليهم سوء فعلهم وقبيح اعتقادهم وشديد انحرافهم عن الدين القويم والصراط المستقيم والحاثة لهم على الإيمان بالقرآن الكريم وبالنبى محمد ﷺ الذى جاءهم بالحنيفية السمحة فأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث ووضع عنهم الآصار والأغلال التى كانت عليهم .

على أنه لا متمسك لهم فى هذه الآية التى تشبثوا بها هاهنا بل هى فى الواقع حجة عليهم لأنها تقريع لهم وتحقير لشأنهم وفيها دعوتهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ والنور الذى أنزل معه ووصفهم بمزيد الكفر والطغيان . وها هو مجمل ماقيل فيها باختصار :

« قل يا أهل الكتاب » هذا أمر من الله سبحانه وتعالى لسيدنا ومولانا محمد ﷺ رسول الثقلين وسيد الكونين المبعوث إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا الذى لايسمع به يهودى ولا نصرانى ثم لايؤمن به إلا كان فى النار ، أن يخاطب الفريقين اليهود والنصارى وهم المقصودون بأهل الكتاب هنا بناء على أن المراد بالكتاب الجنس الشامل للتوراة والإنجيل كما يفيده مابعده ؛ وإنما ذكروا بهذا العنوان تأكيدا لتحميهم والتشنيع عليهم ، فإن أهلية الكتاب توجب إيمانهم به وإقامتهم له وعملهم بما فيه من غير زيادة ولا نقصان ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا تغيير ولا تبديل فلا جرم كان كفرهم به و إهمالهم له وعدم إقامتهم إياه أقبح من كل قبيح وأشنع من كل شنيع « لستم على شيء » أى لستم على حق ودين يعتد به و يصح أن يسمى شيئا عند الله تعالى وفى نظر العقلاء لكونه ظاهر الفساد واضح البطلان و إن كان فى نظرهم معتدا به و يسمى دينا . وفى هذا التعبير غاية التحقير ونهاية التصغير « حتى تقيموا التوراة والإنجيل » أى تعملوا بمقتضاها وتحافظوا على مافيهما من نعوت النبى ﷺ ودلائل رسالته وشواهد نبوته . وهذه هى الإقامة الحقيقية المقصودة هنا لا العمل بما نسخ من أحكامها ببعثة النبى ﷺ ومجىء الشريعة الإسلامية ونزول القرآن الذى يقول « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » فهذا ليس من إقامتهما فى شيء بل هو تعطيل لها ورد لشهادتهما وخروج عن حدودها . وذلك لأنهما لما شهدا برسالة محمد ﷺ وصحة شريعته التى نسخت هذه الأحكام ودلت على انتهاء وقت العمل بها فقد شهدا قطعا بنسخ الأحكام المذكورة ودلا على أنها ليست من أحكامها المرعية ، وأن ماقرره هذا النبى الكريم هو الذى يجب التعويل عليه والاستناد إليه كما ينبىء عنه قوله تعالى (وما أنزل إليكم من ربكم) فإنه معطوف على التوراة والإنجيل أى لستم على شيء معتد به حتى تقيموا التوراة والإنجيل وتقيموا ما أنزل إليكم من ربكم من القرآن المجيد بأن تؤمنوا به وتعملوا بمقتضاه وتمتثلوا أوامره ونواهيه وسائر أحكامه وحدوده . وحكمة الجمع بين إقامة الثلاث الإشارة إلى أنه لاتنافى فيها ولا تعارض بين أحكامها الصحيحة فإنها كلها حق من عند الله تعالى والحق لا اختلاف فيه ولا يعارض بعضه بعضا (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) .

فالكتب الإلهية والشرائع السماوية كلها فى الواقع متحدة متعاضدة متفقة على شيء واحد وهو مراعاة مصلحة العباد وتوفير سعادتهم الروحية والبدنية . وكل شريعة منها هى أصلح مايكون لأهل الزمن الذى نزلت فيه (و إن كان بعضها مؤقتا محدودا وهما التوراة والإنجيل والبعض غير مؤقت بل هو باق إلى يوم القيامة كالقرآن الكريم) ولولا ماتورط فيه أهل الكتابين السابقين من التعصب والجمود وتحريف الكلم عن مواضعه ولبس الحق بالباطل ولولا مادعاهم إليه الحسد والكبر وحب العاجلة من إنكار نبوة محمد ﷺ ورسالته إليهم وكتمان نعوته التى وجدوها مكتوبة عندهم فى التوراة والإنجيل لولا ذلك كله لكان لهم حال غير هذا الحال ولكانوا معنا يداً واحدة وأمة واحدة متفقة على الهدى والخير . ولكن هكذا سبق القضاء وجعل الله تعالى فى عباده سعداء وأشقياء (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين)

وأما الحكمة فى عدم التصريح باسم القرآن وإيراده بعنوان الإنزال إليهم فهى التنصيص على أنهم مأمورون بإقامته والإيمان به داخلون تحت أحكامه وحدوده لا كما يزعمون من اختصاصه بالعرب . كما أن الحكمة فى تقديم إقامة الكتابين على إقامته مع أنها المقصودة بالذات إنما هى رعاية حق الشهادة واستنزالهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن رتبة الشقاق والعناد الذى أشربته قلوبهم . وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن جماعة من اليهود قالوا لرسول الله ﷺ ألست تقر أن التوراة حق من عند الله تعالى فقال عليه الصلاة والسلام: بلى فقالوا: فإنا مؤمنون بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت .

ثم بين تعالى ماهو دأبهم وسليقتهم من الإفراط فى التعصب والإنكار والغلو فى المكابرة والعناد مؤكدا ذلك بالقسم معلنا أن التبليغ لايجديهم نفعا ولا يزيدهم إلا طغيانا وكفرا لخبث ضمائرهم وقبح سرائرهم فقال (وليزيدن كثيرا منهم) وهم الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله تعالى . وأما القليل منهم كعبد الله بن سلام والنجاشى فقد ازدادوا هدى ونورا وكسبوا بإيمانهم خيرا كثيرا (ما أنزل إليك من ربك) وهو القرآن الكريم . وهذا من أعجب العجب حيث يصبح ماهو سبب للهداية والنور سببا للطغيان والكفر : عجبا للكفار زادوا ضلالا . . بالذى فيه للعقول اهتداء :

وإنما نسب الإنزال هنا إليه ﷺ حيث قيل (ماأنزل إليك) مع إضافته فيما مر إليهم بقوله (وما أنزل إليكم) للدلالة على انسلاخهم عن تلك النسبة وعدم محافظتهم على شرفها مع ماقرنت به من التلطف والرفق الزائد حيث ذكر اسم الرب تعالى وأضيف إلى ضميرهم فقيل (من ربكم) وهكذا كل يعمل على شاكلته وكل إناء بالذى فيه ينضح .

(فلا تأس) يامحمد صلوات الله وسلامه عليك أى لاتتأسف ولا تحزن ولاتذهب نفسك حسرات (على القوم الكافرين) أى على هؤلاء القوم العريقين فى المكابرة والجحود الراسخين فى الطغيان والكفر . وهذا هو السر فى وضع المظهر موضع المضمر .

والمقصود من هذه الجملة الكريمة إخلاء عاتقه الشريف ﷺ من التبعة وبيان أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة وأمحض النصح لهؤلاء الذين لم يقبلوا نصيحته ولم يلبوا دعوته . والتسجيل عليهم بالتمادى على الضلال والتصلب فى الكفر الذى لا تتخطاهم تبعته ولايحيق بغيرهم غائلته . ولا يظلم ربك أحدا ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ؟

عبد الجواد محمد الدومى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تفسير القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ؟

صدق الله العظيم

لما بين الله سبحانه وتعالى فى الآية السابقة أن من يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى وهدى إلى صراط مستقيم ، أشار جل شأنه فى هذه الآية الكريمة التى معنا إلى أن حصول ذلك وعامه لايكون إلا بولايته وتوفيقه . فالخلق إذا نظر إليهم من حيث وصفهم الحقيقى ونعتهم الطبيعى وجدهم فى نهاية الضعف والعجز لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا يستطيعون إيماناً ولا كفراً إلا بمعونته سبحانه وتعالى وقدرته وإرادته، فهو الخالق لأفعالهم المقدر لحركاتهم وسكناتهم . (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا) أراد سعادة قوم فحبب إليهم الايمان وزينه فى قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وأراد شقاوة آخرين فمنعهم ألطافه الالهية وسلبهم نور الهداية والتوفيق وأخلى بينهم وبين شياطين الانس والجن يلقنونهم الكفر ويحسنون لهم الالحاد والزيغ ويعلمونهم الجراءة على انتهاك الحرمات واجتراح السيئات، حتى أظلمت قلوبهم وأصبحت ضيقة حرجة لاتقبل الخير ولا تميل إليه ولا تتحبب إلى أهله . وهذا كله معنى قولنا (لاحول ولا قوة إلا بالله) أى لاتحول عن المعاصى والكفر ولاقدرة على الطاعة والايمان إلا بحوله تعالى وقوته : (الله ولى الذين آمنوا) أى محبهم وموفقهم

للخير ومعينهم على العمل به ، ومتولى جميع شؤونهم الدنيوية والأخروية ، يهديهم إلى التأمل فى مصنوعاته والتدبر فى آياته ، ويشرح صدورهم للايمان ويصلح لهم أمر معاشهم ، فاذا دعوه أجابهم وإذا سألوه أعطاهم وإذا استغاثوا به من مكروه أغاثهم ، بل ربما قضى لهم حوائجهم قبل أن يتوجهوا بالسؤال إليه ، كما قيل (لله عباد تقضى حوائجهم قبل أن ترفع حواجبهم) فقد بان أن قوله تعالى : (الله ولى الذين آمنوا) متضمن أحسن وعد للمؤمنين ، فان من كان وليه الله الذى بيده ملكوت كل شىء وله خزائن السموات والأرض لا بد أن يكون فى حرز منيع ومقام رفيع وحفظ من جميع الأهوال والآفات . (أليس الله بكاف عبده) وقد روى أن أبا سفيان قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى غزوة أحد : لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال النبى ﷺ : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم : نعم المولى ونعم النصير . والمراد بالذين آمنوا هنا الذين أرادوا الايمان وعزموا عليه . أو آمنوا فى علمه تعالى (يخرجهم من الظلمات) أى ظلمات الكفر والعقائد الفاسدة (إلى النور) أى نور الايمان بالله تعالى والاعتقاد الصحيح . والتعبير عن الكفر بالظلمات وعن الايمان بالنور من باب التشبيه وهو فى نهاية الدقة والحسن لأن الظلمات من لوازمها الحيرة وعدم الاهتداء الى المقصود والغاية المنشودة ، والكفر كذلك من أخص خصائصه الحيرة والضلال وعدم الظفر بالمقصود الحقيقى . ولذلك قد تجد بعض الكفار فى نهاية المهارة والحذق فى الأمور الدنيوية بحيث يدبر بعقله وحسن سياسته مملكة واسعة الأطراف مع أنه فى أموره الدينية وحياته الروحية لايساوى قلامة ظفر . ومن هنا كانت أعمال الكفار كما حكى الله تعالى فى كتابه الكريم (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب . أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) فالكفر أصل الرذائل كلها ومنبع المفاسد والشرور ومنشأ الخلل والاضطراب . وأما الايمان فانه يدل على الخير ويهدى إلى مكارم الأخلاق ويرشد إلى حسن المعاملة مع الخالق والمخلوق . ويجعل حياة الانسان سعيدة طيبة وسعيه واضحا جلياً لاغموض فيه ولا إبهام . فلذا وقع تشبيهه بالنور الذى يكشف الطريق ويظهر حقائق الأشياء .

والاخراج من الظلمات إلى النور بالمعنى المتقدم بالنسبة لمن سبق لهم الكفر قبل الايمان محمول على حقيقته أما بالنسبة لمن ولدوا فى الاسلام ونشأوا مسلمين فالمراد منه الحيلولة والمنع أى أن الله تعالى يمنعهم ويحول بينهم وبين الدخول فى الظلمات ، كما تقول لصاحبك : أنقذتك من الهلاك : ولم يكن واقعا فى الهلاك بالفعل . وإنما مشفيا ومشرفا عليه . ويحتمل أن يكون المراد من الذين آمنوا فى قوله تعالى : (الله ولى الذين آمنوا) الذين آمنوا بالفعل . ومعنى إخراجهم من الظلمات إلى النور حمايتهم من الوقوع فى المعاصى والفتن وتحليتهم بحلية الطاعة بحيث تكون الحضرة الالهية معشش قلوبهم ومطمح أنظارهم فلا يغفلون عن ذكر الله تعالى ولا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكره وإذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وتضرعوا إلى ربهم ولم يصروا على مافعلوا . أو حفظهم من الآفات والبلايا الدنيوية . وذلك بأن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحفهم الألطاف الالهية وتلحظهم العناية الربانية فيجعل الله تعالى لهم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا أو يرزقهم الرضا والتسليم فيما أبرم ولا مرد له من القضاء ، لكن ذلك كله إنما هو بالنسبة لمن عمل بمقتضى الايمان واتقى الله تعالى حق تقاته على قدر الطاقة البشرية ، فهؤلاء هم المحميون من المعاصي والفتن ، الممنوحون باللطف فى نوازلهم الدنيوية وشؤونهم الخصوصية والعمومية . (والذين كفروا) أى أرادوا الكفر أو كفروا فى علم الله تعالى أو كفروا حقيقة (أولياؤهم) أى أنصارهم وحلفاؤهم (الطاغوت) أى الشياطين وزعماء الشر . وقيل الطاغوت السحرة وقيل الأصنام وقيل غير ذلك ، والأولى أن يراد به كل ما عبد من دون الله تعالى وأضل عن سبيله . فيشمل الأصنام والسحرة والكهنة والشياطين من الجن والانس . والطاغوت مأخوذ من الطغيان وهو مجاوزة الحد . يطلق على الواحد كما فى قوله تعالى : (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) وعلى الجميع كما فى الآية التى معنا (يخرجونهم من النور) أى نور الايمان بالله تعالى بسبب ما يلقون إليهم من الشبه ويقذفون فى قلوبهم من الشكوك والأوهام . وهذا بالنسبة لمن كان مؤمنا ثم كفر ، كما قيل إن الآية نزلت فى قوم ارتدوا بعد إيمانهم . وأما بالنسبة لمن لم يسبق لهم إيمان فالمراد يخرجونهم من نور الفطرة السليمة وهى الميل إلى الخير والحق على ماجاء فى الحديث عنه ﷺ : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، الحديث . أى كل مولود يولد محبا للخير قابلا للايمان ميالا إلى الحق وإنما يطرأ عليه الضلال والكفر بسبب سوء تربيته وفساد بيئته . ويحتمل أن يكون التعبير بالاخراج من النور كناية عن المنع . أى أن هؤلاء الأولياء المضلين يحسنون لهم التمادى فى الباطل والاصرار على الكفر ويزينون لهم ماهم فيه من الضلالة والغى فيمنعونهم بذلك من النور (إلى الظلمات) أى ظلمات الكفر والفسوق والعصيان ، ثم بين الله سبحانه وتعالى مآلهم فى الآخرة بعد أن وصف حالهم فى الدنيا فقال :(أولئك) الكفرة البعداء عن سبيل الايمان المنهمكون فى الضلال والغى (أصحاب النار) أى الملازمون لها أبداً فلا يخرجون منها ولا يغيبون عنها لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ولا تنفعهم شفاعة الشافعين (هم فيها خالدون) مقيمون وما كثون وكلما نضجت جلودهم من العذاب أبدلهم الله تعالى جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب نسأل الله تعالى السلامة بمنه وهنا أمور يحسن التنبيه عليها فى هذا المقام.

(١) يؤخذ من قوله تعالى : (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) أن الله جلت قدرته وسمت حكمته قد خلق الخلق على نوعين ، وجعلهم على فريقين ، فريق آمن بالله تعالى وصدق المرسلين فهو فى الجنة ، وفريق كفر به وكذب بآياته فهو فى السعير ، وهذا ماسبق به القضاء الأزلى ، وإليه الاشارة بقوله عز وجل : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) أى ولو شاء ربك أن يكون الناس كلهم متفقين على ملة واحدة ورأى واحد لفعل ولما أعجزه ذلك أو استعصى عليه لأنه الفعال لما يريد ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولـكنه لم يشأ ذلك منهم ، وإنما شاء منهم الاختلاف والتباين فى المذاهب والملل ، منهم كافر ، ومنهم مؤمن ، منهم شقى ، ومنهم سعيد (ولا يزالون مختلفين) أى غير مقرين بالحق ، ولا مهتدين للايمان إلا من رحمهم الله تعالى فوفقهم وهداهم وشرح صدورهم للحق ، ولذلك التباين والاختلاف والتفاوت فيما بينهم خلقهم الله تعالى ، فلا يكون منهم إلا ماسبق فى علمه القديم ، حتى إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنـة حتى مايكون بينه وبينها إلاذراع ، فيسبق عليه الـكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، والرجل يعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الـكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، كما جاء مصرحا به فى الحديث الشريف ، واللام فى قوله تعالى : (ولذلك خلقهم) لام العاقبة مثلها فى قوله : (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) فلا تدل على أن هذا التفرق والاختلاف مأمور به ومرض لله تعالى .

والخلاصة أن الله تعالى خلق الخلق وأراد منهم أن يكونوا مختلفين فى أديانهم ومذاهبهم متفاوتين فى أعمالهم : منهم المؤمن ، ومنهم الـكافر ، ومنهم الطيب ، ومنهم الخبيث ، ومنهم البر ، ومنهم الفاجر ، كما أن منهم الغنى ، ومنهم الفقير ، إلى غير ذلك من ضروب التفاوت وأنواع الاختلاف ، فلا يصدر منهم حركة ولا عمل ، ولا يظهر على أيديهم خير ولا شر ، ولا يصيبون فى حياتهم حلواً أو مراً إلا على طبق ماجرى به القلم ، وسبق فى علمه القديم ، ولـكن مع هذا فانه تعالى لم يأمرهم إلا بالطاعة والايمان ، ونحن معاشر العلماء مأمورون بالوعظ والتذكير ، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر امتثالا لأمر الله جل شأنه وتنفيذاً لشرعه ، ولا ننظر لحـكم القضاء والقدر ، ولسنا مكلفين بذلك ، كما أن العصاة ليس لهم أن يحتجوا ، وإذ احتجوا فحجتهم داحضة .

(٢) يؤخذ من قوله تعالى : (الله ولى الذين آمنوا) أنه ليس ولياً للـكافرين ، وبهذا صرحت الآية الـكريمة وهى قوله عز وجل (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الـكافرين لامولى لهم) وقد يستشـكل ذلك بقوله تعالى فى موضع آخر (وردوا إلى الله مولاهم الحق) والواقع ـ كما قال بعضهم ـ أنه لا إشكال لأن الولاية على قسمين : خاصة بالمؤمنين وهى ولاية المحبة والمعونة والتوفيق ، وعامة للـكل وهى ولاية القهر والتصريف ، فالخاصة هى المشار إليها بقوله تعالى (الله ولى الذين آمنوا) وبقوله (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا) والعامة هى المرادة بقوله : (وردوا إلى الله مولاهم الحق) وهذا كما قيل فى المعية أنها خاصة بالمتقين المحسنين (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وعامة لجميع الخلق (وهو معكم أينما كنتم) وهذا فى الـكتاب والسنة كثير .

(٣) نسب الله تعالى فى هـذه الآية إخراج المؤمنين من الظلمات إلى النور لحضرته العلية حيث قال : (يخرجهم من الظلمات إلى النور) وفى آية أخرى نسب ذلك للرسول ﷺ حيث يقول : (الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) وكذلك فى الضد وهو إخراج الـكافرين من النور إلى الظلمات نسبه الله تعالى فى الآية التى معنا للطاغوت بقوله : (أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى

الظلمات) مع أن الآيات الدالة على أنه تعالى هو المستقل بذلك لاتحصى كثرة ، والجواب أن الفعل كما يصح إسناده للفاعل الحقيقي يصح أيضاً إسناده للسبب لغة وشرعا ، فيصح لك أن تقول : أنبت الماء الزرع ، من غير نكير ، كما تقول : أنبت الله الزرع ، وعلى هذا فالآيات التى وقع فيها التصريح باسناد الفعل إلى الله تعالى خيراً أو ضده محمولة على حقيقتها والاسناد فيها إسناد حقيقي ، وأما الآيات التى صرح فيها بالاسناد للرسل فى الخير ، وللشياطين فى الشر ، فهى محمولة على التأويل والمجاز ، وعلامة كون الاسناد مجازيا صحة نفى المسند عن المسند إليه ، ولذلك يخاطب الله تعالى نبيه ﷺ بقوله (إنك لاتهدى من أحببت) فينفى صدور الهداية منه نفياً باتاً مع أنه قد أثبتها له إثباتاً مؤكداً فى قوله : (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) فالنبى ﷺ ليس هاديا باعتبار الحقيقة وهو هاد باعتبار أنه سبب فى الهداية ، وقد قيل فى الآيتين غير هذا ، وفى الحديث يقول ﷺ : « من فرج عن مؤمن كربة » إلخ فيسند تفريج الكربة للعبد مع أن الآية الكريمة تقول : (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) فالحديث باعتبار الأسباب ومراعاة الظاهر ، والآية معبرة عن الحقيقة ، وأمثلة هذا كثيرة جداً منها قول جبريل عليه السلام كما حكى الله تعالى عنه مخاطباً لمريم عليها السلام (إنى رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا) فجعل نفسه هو الواهب لها الغلام مع أن ذلك من اختصاصه تعالى (يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ، ويجعل من يشاء عقيما) فظهر أن إسناد الفعل لغير الله تعالى على سبيل المجاز سائغ بنص الكتاب والسنة ، فلا شرك ، بل ولا إثم ، ولا عدوان فى قول المتوسل برسول الله ﷺ : فرج كربى يارسول الله ، مثلا مادام يعتقد أن الله تعالى هو الفاعل المختار ، فليتق الله تعالى فى أمة محمد ﷺ معشر لم يتفقهوا فى الكتاب والسنة وإن زعموا أنهم أعرف الناس بهما ، نعم الأولى والأحب التحاشى عن مثل هذه العبارة .

(٤) نسب الله تعالى الاخراج من الظلمات إلى النور وهو خير لجنابه الأقدس ، ونسب الاخراج من النور إلى الظلمات وهو شر للطاغوت ، فدل ذلك على أن من الأدب إسناد الخير إلى الله تعالى ، وإضافة الشر للنفس والشيطان ، وإن كان الكل بتأثيره تعالى وخلقه ، ومنه ماورد « الحلم من الشيطان والرؤيا من الله » وفى قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام قال فى خرق السفينة (فأردت أن أعيبها) فأضاف إرادة العيب لنفسه ، وفى إقامة الجدار قال (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما) فنسب إرادة بلوغهما الأشد واستخراجهما لكنزهما لله تبارك وتعالى مبالغة فى حفظ الأدب .

(٥) تعقيب قوله تعالى : (أولئك أصحاب النار) بقوله (هم فيها خالدون) فيه دلالة واضحة على أن عذاب الكافرين فى النار عذاب دائم فهم خالدون فى النار باقون فيها أبدا لاهى تفنى وتتلاشى ولاهم يموتون وهذه عقيدة أهل الحق الثابتة بالكتاب والسنة والاجماع لأن الكفر هو أكبر الكبائر وأقبح الذنوب فلا بد أن تكون عقوبته أقصى العقوبات وأشدها على الاطلاق وليس ذلك إلا الخلود الأبدى والمكث السرمدى ، فالناس ثلاثة : كافر وهذا مخلد فى النار إجماعا ، ومؤمن ملحوظ بالعناية الربانية فلم تقع منه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معاص أو وقعت منه وتاب منها توبة حقيقية وهذا فى الجنة يدخلها من غير سابقة عذاب ولا شائبة عقاب ومؤمن مات مصرا على الذنوب وهو موكول إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه على قدر جرمه ومآله إلى الجنة حتما ، ولبعض الفرق الضالة هنا آراء سخيفة ومذاهب باطلة لا يصح الاكتراث بها .

(٦) قضى الله تعالى فى هذه الآية الكريمة على الذين كفروا بالخلود فى النار مع أنهم إنما كفروا بواسطة أوليائهم وهم الطاغوت الذين لقنوهم الكفر وحسنوا لهم الاصرار عليه ، فدل ذلك على أن عوام الكفار كخواصهم فى الخلود فى العذاب وأن معتقد الكفر غير معذور مقلدا كان أو غير مقلد ، اللهم قنا عذابك وأدخلنا الجنة مع السابقين بمنك وكرمك ؟

عبد الجواد محمد الدومى

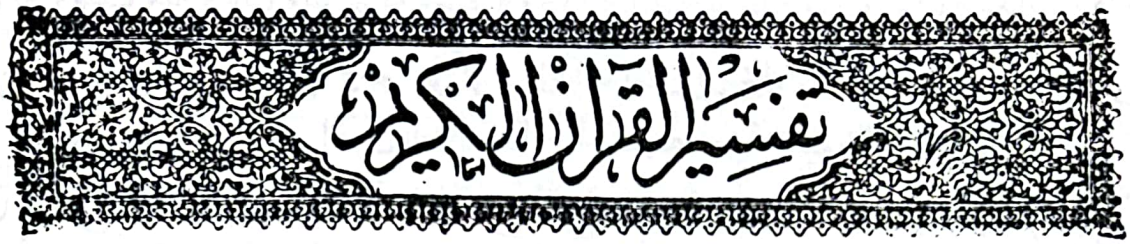

بسم الله الرحمن الرحيم

مجد الاسلام لم يقم على السيف
وانما قام على الحجة والبرهان

لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ؟ صدق الله العظيم

طلب إلينا حضرة المحترم الفاضل عبد العزيز حسن إبراهيم باسكندرية بواسطة مجلة الاسلام الغراء، تفسير قول الله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة : (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) إلى قوله عز وجل (ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقد رأينا أن تفسير هذه الآيات كلها يستغرق أكثر من مقال واحد حتى يحصل الوفاء بالمطلوب فى الجملة ، لذلك آثرنا أن نتكلم الآن على الآيتين الكريمتين المذكورتين فى صدر هذا المقال ، مرجئين الكلام على بقية الآيات إلى عدد آخر ، وقد وصلنا هذا الطلب الكريم من مدة ، ولكن اضطرتنا الشواغل الكثيرة إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تأخير الاجابة عنه ، ولعل فى ذلك حكمة ، وهى أن يظهر هذا المقال وفيه الاشادة بذكر الدين الاسلامى الحنيف والتنويه بمبادئه القويمة . وبيان أصل عظمته ومجده . والسر فى سرعة انتشاره وأخذه بمجامع القلوب ، فى هذا الشهر المبارك العظيم شهر المولد النبوى الشريف ، الذى يحلو فيه الكلام عن الاسلام ومزايا الاسلام . ومن الله نستمد المعونة والتوفيق فنقول : —

((تمهيد))

بعث الله سيدنا ومولانا محمدا ﷺ بالآيات الساطعة والبراهين القاطعة . يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل بالتى هى أحسن . لايجبر أحداً على قبول دعوته . ولا يكره الناس على الدخول فى ملته . مكتفياً بالحجة والاقناع . معلناً أنه لاسيطرة له على الضمائر . ولا سلطان له على القلوب . وظيفته الدعوة والدلالة . يدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحذر عاقبة الظلم والطغيان . وليس من وظيفته ولا من اختصاصه إحلال الهداية فى قلوب الضالين . وإيصال اليقين إلى نفوس الحائرين المضطربين . إنما ذلك لله وحده (إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) وقد جاء صلوات الله وسلامه عليه بالشريعة الواضحة والملة القويمة والحنيفية السمحة . جاء بدين الفطرة الذى تهفو إليه الألباب وتطمئن له القلوب لأن فيه رشدها من الغى وهدايتها من الضلال وشفاءها من العمى . فهى ميالة إليه بطبيعتها محبة له بفطرتها متى خلت من الموانع والعوائق لاتروم به بديلا ولاتختار سواه دينا . وإن ديناً هذا شأنه ليس محتاجا إلى القوة تسنده . ولا إلى السيف يعزز مركزه ويشيعه إلى القلوب . . فهو بقوانينه العادلة ونظمه المتينة وتعاليمه المحببة إلى النفوس الكافلة لسعادة البشر فى معاشهم ومعادهم ، غنى عن مظاهرة الحديد والنار . لم يقم صرح مجده ولم يمتد وارف ظله ولم يحتل مكانه الأول فى نفوس الخاصة والعامة تحت تأثير شىء ما غير الحجة والبرهان . وغير ماجاء به من السماحة واليسر . ومن المبادىء العالية التى عليها وحدها — وإن كابر المبطلون — يقوم نظام الحضارة والعمران . وقد أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : (مامن نبى من الأنبياء إلا وقد أعطى من الآيات مامثله آمن عليه البشر . وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه الله إلىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) يعنى أن معجزات الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كان معظمها من قبيل الخوارق الحسية التى تضطر المشاهد لها إلى الايمان والتسليم ، فاذا مضى زمنها انقضت وانقطع أو كاد المصدقون لها . وأما معجزة نبينا ﷺ أى معظم معجزاته وأهمها فهى القرآن الكريم الزاخر بالحجج القطعية والبراهين العقلية لاتنفد عجائبه ولا يخلق بكثرة الترداد ، وكلما تعاقبت السنون وتوالت الأجيال واتسع نطاق العلم وتقدمت الصنائع والفنون عظمت قيمة هذا الكتاب وظهر للناس صدق أخباره وحقيقة إعجازه ، فبذلك يكثر أتباع النبى ﷺ ويدخل الناس فى دينه أفواجا . فظهر أن قتاله عليه ﷺ وجهاده الكفار والمنافقين لم يكن للاكراه على الدين وحمل الناس على الدخول فيه بالقوة والقهر ، وإنما كان لدرء الفتنة وصد هجمات المعتدين . كان لحماية الملة وصيانة الدولة من عبث العابثين وكيد الأشرار المجرمين ، وهذا أمر لابد منه فى كل زمان ومكان فهو ضرورى لكل أمة لها كرامة تحتفظ بها ودين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تغار عليه ، ونظام تحرص على تنفيذه . لم يخل من ذلك دين سماوى ولا قانون وضعى ، ومن أدار نظره فى مختلف القوانين السارية الآن وجدها تنص على استعمال منتهى الشدة والقسوة مع كل شخص يحاول العبث بنظام الدولة وشكل الحكومة أو يعتدى على حريات الناس وعقائدهم وغير ذلك من أنواع العبث والفساد فى الأرض . وفى ذلك يقول الحق تعالى فى محكم كتابه (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) ومن هنا يعلم سقوط ما يدعيه بعض الكتاب من الغربيين وأشباههم أن الدين الاسلامى دين غلبة وقهر لم يقم إلا على القوة والعنف ، ولم يترعرع إلا تحت بارقة السيوف ، ولو كان ما يتشدق به هؤلاء له نصيب من الصحة لكان القسيسون والرهبان ـ نظراً لما لهم من المكانة فى دينهم والتوغل فى التمسك بعقيدتهم ـ أولى بالاكراه والقتل ممن عداهم ، مع أن النبى ﷺ نهانا عن قتلهم كما نهانا عن قتل النساء والأطفال ، فمن وصاياه عليه الصلاة والسلام لبعض أمراء جيوشه (اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام ، وستجدون رجالا فى الصوامع منعزلين فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صبياً . ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء) وفى صحيح مسلم (كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله عز وجل ومن معه من المسلمين ثم قال : اغزوا باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً) الحديث .

وروى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ (إنما بعثنى الله مبلغاً ولم يبعثنى الله متعنتاً) أى أن الله تعالى إنما بعثنى للناس مبلغا وحيه معرفا شرعه مبيناً لهم ما فيه صلاحهم وقوام سعادتهم ولم يبعثنى جباراً متشدداً أكم أفواه الناس وأضغط على حرياتهم فأشق عليهم فى معاملاتهم أو أكلفهم من الأعمال مالا يطيقون وألزمهم من الدين ماهم له كارهون ، على أننا نعلم بالضرورة أن هذا الدين الاسلامى ليس من وضع محمد ﷺ ولا من صنع يده وإنما هو وضع الله تعالى وحده ، وضعه بحكمته وأنزله بعلمه وجعله ينبوع الخيرات وأس السعادات ، فما المانع والحالة هذه من أن يفرضه سبحانه وتعالى على عباده فرضاً ويكرههم عليه إكراها . أليس للطبيب إذا امتنع المريض عن تعاطى الدواء الذى به زوال علته وشفاء شقائه أن يكرهه على تناوله ويجبره على تعاطيه . إذن فلا داعى لكثرة القيل والقال فى هذا الباب ولنكتف بهذا التمهيد الوجيز ونشرع فى شرح الآيتين الكريمتين قال الله عز وجل (لا إكراه فى الدين) أى لا يصح ولا يتصور ولا ينفع الاكراه فى دين الله تعالى لأن الدين أساسه الاعتقاد القلبى والاذعان الباطنى وهذا أمر لا يجبر عليه المرء إجباراً وإنما يقبله طوعا واختيارا . فالدين بطبيعته يتنافى مع الاكراه (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ومثل هذا ما يقال لا إكراه فى الحب ، أى أنه لا يكون ولا يتصور فيه ذلك .

ويحتمل أن يكون المعنى على إرادة النهى أى لا تكرهوا الناس ولا تجبروهم على الدخول فى دين الله تعالى ولا تتعرضوا لهم بسوء ماداموا متمسكين بأحد الكتابين التوارة والانجيل ، ولم يقاتلوكم أو يظاهروا أحداً على قتالكم . وأعطوا الجزية بشرطها المعلوم ، بدون أن يحصل منهم خيانة ولا غدر .

ويعضد هذا ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا من الأنصار من بنى سالم بن عوف يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان وكان هو رجلا مسلماً فقال للنبى ﷺ ألا أستكرههما فقد أبيا إلا

النصرانية فأنزل الله تعالى فيه ذلك ... وينبغى أن يعلم أن إقرارنا اليهودى أو النصرانى على دينه وإعطانا له الحرية فى القيام بشعائره حتى أننا أوجبنا على الابن المسلم إذا كان أبوه نصرانياً وطلب منه أن يحمله إلى الكنيسة لعجزه عن الذهاب إليها بنفسه ، أن يطيع أباه فى ذلك ليس معناه أننا نعتقد صحة هذا الدين و نتيح اعتناقه لأحد ، كلا ، وإنما نحن نفعل معهم ذلك بعد أن ظهرت الحجة واتضحت المحجة وتبين الرشد من الغى ، احتراما للحريات وتحقيقاً لمبدأ العدالة والانصاف ، فالمسلم يعتقد أن الدين الذى يجب اعتناقه وبه تحصل السعادة فى الدنيا والآخرة هو الاسلام فقط دون ماعداه من بقية الأديان ، ولكنه مع ذلك يرى من الواجب عليه ألا يتعرض لأحد من أهل الكتابين بسوء ، فلا يسفك لهم دما ولا يهتك لهم عرضا ولا يأخذ منهم مالا إلا بحق شرعى ولا يجور عليهم فى حكم من الأحكام ولا يحول بينهم وبين القيام بشعائرهم وواجبات دينهم ، ولا يرى بأسا فى معاملاتهم وأكل طعامهم والتزوج بالمحصنات من نسائهم ، إلى غير ذلك مما هو مسطور ومشهور ، فالدين الاسلامى يزن الأمور بقسطاسها المستقيم فلا يهضم حقاً من حقوق الانسان الطبيعية ولا يعتدى على شىء من حرياته ولقد كان له صولة وسلطان وكان فى أبنائه شدة وقوة ، لكنهم لم يتخذوا هذه القوة أداة للسلب والنهب واغتصاب الحقوق الشرعية ، ولم يستعملوا الشدة قط لخنق الحريات وإكراه أحد على مالا يريد ، وإنما قسوا واستعملوا الغلظة والشدة مع الاشرار الذين لاهم لهم إلا إثارة الفتن وإحداث القلاقل والتعرض للحرمات ، ولا غضاضة فى أن يكون المسلمون قساة على الاشرار أقوياء فى الحق أشداء على الكفار . وإنما الغضاضة كل الغضاضة أن يكونوا بخلاف ذلك فيكونوا أبناء الضعة والصغار ويكون دينهم دين المسكنة والذل لا يستطيعون أن يتبوءوا مكانهم تحت الشمس أو يتمتعوا بقسطهم من الحرية والاستقلال ، فلا تهابهم الأمم ولا يحترمهم مخلوق ، وما أحسن ما قالته إحدى الجرائد الانجليزية بصدد الحديث عن الاتفاق الايطالى الانكليزى الذى تم أخيراً . حيث قالت مامؤداه : لو كنا ضعفاء لما رغب موسلينى فى صداقتنا : وهذا حق لامرية فيه فلا حياة بدون القوة فى هذه الحياة .

(قد تبين) أى اتضح وتميز بما نصبه الله تعالى من الدلائل الكونية وما أوحاه إلى رسله عليهم الصلاة والسلام من الآيات التنزيلية الدالة على عظمته تعالى ووحدانيته وانفراده بالتأثير والايجاد وأنه جل شأنه القائم على كل نفس بما كسبت لا تأخذه سنة ولا نوم وسع كرسيه السموات والأرض وشملت قدرته جميع الكائنات فلا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة إلا هو ولا تتحرك ذرة فى العوالم كلها إلا باذنه ومشيئته (الرشد) أى الايمان والخير وكل مايوصل إلى الله تعالى ويقرب من حضرته العلية اعتقاديا كان أو عملياً (من الغى) وهو الكفر والضلال فلا عذر بعد البيان ولا حجة بعد الرسل عليهم الصلاة والسلام (فمن يكفر بالطاغوت) أى يتبرأ منه ويتطهر من رجسه . والطاغوت قيل هو الشيطان وقيل الصنم وقيل الساحر والأحسن أن يراد به كل ماعبد من دون الله تعالى وصد عن سبيله من شيطان وصنم وكاهن وساحر وغيرذلك . والطاغوت مأخوذ من الطغيان ويطلق على الواحد كما فى قوله تعالى (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) وعلى الجمع كما فى قوله : (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) (ويؤمن بالله) تعالى إيمانا حقيقيا بأن يصدق بوجوده تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته الكمالية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن توابع هذا الايمان أن يؤمن بالملائكة والرسل عليهم الصلاة والسلام ويؤمن بالكتب السماويه المقدسة وما فيها من الوعد والوعيد وأنباء القرون الأولى وما جرى عليهم من التقلبات والأطوار المختلفة وأخبار القيامة والبعث والعرض الأكبر على الله تعالى لمحاسبة العباد على ماصدر منهم من الأعمال فى الحياة الدنيا ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره فريق فى الجنة وفريق فى السعير . ومن توابع هذا الايمان أيضا أن يعتقد أنه لايمكن تحقيق سعادة البشر وتنظيم جماعاتهم وإصلاح شؤونهم الدنيوية والأخروية إلا بما وضعه الله تعالى من النظم وشرعه من الأحكام .

هذا وفى تقديم القرآن الكريم الكفر بالطاغوت على الايمان بالله تعالى إشارة إلى أن التخلية مقدمة على التحلية فلا يصح الايمان إلا بعد التوبة من الكفر والبراءة من الشرك ، ولا يتحقق التوحيد إلا بعد حصول التجريد . ومن هنا قال العارفون أبناء القلوب إن المريد لايمكنه الحصول على محبة الله تعالى والوصول إلى معرفته معرفة حقيقية إلا بعد أن يخلى قلبه من الشواغل ويفرغه من الأكدار ويحرره من ربقة الشهوات . ومن كلام العارف ابن عطاء الله فى الحكم : كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته؟ أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته ؟ وقال فى موضع اخر : فرغ قلبك من الأغيار تملأه بالأنوار : (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى بالغ فى التمسك بالعقيدة الصحيحة الثابتة المبنية على الأدلة القطعية والبراهين اليقينية التى هى كالحبل المحكم الوثيق (لاانفصام لها) أى لاانقطاع ولا انحلال لها فى الدنيا والآخرة . فالايمان بالله تعالى أصل كل خير وأساس كل عمل صالح وثمراته لاتنقطع فى الدارين به تهذب النفس وتصفو الروح وتستقيم الجوارح وتتفجر ينابيع الأخلاق الفاضلة والآداب الكريمة فهو أس الكمالات ومصدر الخيرات والبركات ، متى خالطت بشاشته القلوب وامتزجت أنواره باللحم والدم كف صاحبه عن القبيح ونهاه عن الفحشاء والمنكر كما قال ﷺ : (لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن) فالمؤمن حقا لايزنى ولا يسرق ولايشرب الخمر ولايؤذى أحداً من الخلق ولايتعدى على أحد بدون حق . أما الكفر على اختلاف أشكاله وألوانه فهو مصدر القبائح والشرور ومنشأ الانغماس فى الرذائل كلها وسبب الجرائم والبلايا بأسرها . وفى القرآن الكريم (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) قال العلماء إن الله تعالى جعل فى هذه الآية الكريمة : من ترك الايمان وأشرك به مثله كمثل شخص خر من السماء فاختطفته الطير فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المطاوح البعيدة.

وحاصله أن من أشرك بالله تعالى فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية . . (والله سميع عليم) لكل مايصدر من الخلق من الأقوال والأفعال والأحوال كلها ظاهرة وباطنة لايعزب عن علمه مثقال ذرة ولا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء (مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) (وهو معكم أينما كنتم) .

إذا ماخلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب

ولعل فى هذا القدر كفاية الآن ، فلنرجىء الكلام على الآية الثانية من الآيتين المذكورتين هنا إلى أن نكتب على بقية الآيات فيما بعد . والله تعالى ولى التوفيق .

عبد الجواد محمد الدومى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تفسير القرآن الكريم

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الجواد الدوى إمن علماء الأزهر
ومدرس وخطيب مسجد الزينى بالسبتيـــة بمصر

الآيات الكريمة من ٣٦ إلى ٤٠ من سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ۞ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۞ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۞ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ۞ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۞) صدق الله العظيم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حول قصة أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها

أرسل إلينا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الجواد الدوهى مقالا ضافيا فى هذه القصة المشهورة يطلب منا نشر التفسير الذى جاء به مما حباه الله خدمة للاسلام والمسلمين ولا يسعنا إلا أن نقدم الشكر لفضيلته وندعو الله أن يكثر فى الأمة الاسلامية من العلماء العاملين مثله حتى يعود للاسلام مجده الأول

خاض الناس كثيرا فى هذه القصة . ووقع فيها لبعض المفسرين من الأوهام والأغلاط الشنيعة مالا يليق بمقام النبوة السامي ولا يقتضيه نظم الكتاب العزيز . وقد كنا منذ بضعة شهور تعرضنا للكلام فيها فى بعض مجالس الدرس على سبيل المناسبة والاستطراد . واتفق أن كثيرا من الاخوان والمحبين قد شرفونا بالحضور فى هذا المجلس . فلما سمعوا ماقلناه طاروا به فرحا وسرورا وأعجبوا به إعجاباً شديداً . حتى عفو الكثير منهم بحفظه وتدوينه وأبدى بعضهم إلينا اقتراحا بتلخيصه وإرساله إلى مجلة (الاسلام) الغراء لنشره وتعميم النفع به للمسلمين .

ولكنا ترددنا فى تنفيذ هذا الاقتراح فى الوقت المذكور غير أن المقترح مازال يردد اقتراحه ويلح فى طلب تنفيذه ويلتمس له المبررات العديدة مما جعلنا الآن نضطر إلى إجابة القراء وننشر هذه الكلمة على صفحات مجلة (الاسلام) الغراء . وها قد آن أن نستعين بالله فنقول :

إن أحسن محامل هذه القصة أن الله سبحانه وتعالى كان قد أعلم نبيه ﷺ أن السيدة زينب رضى الله عنها ستكون من أزواجه الطاهرات . فلما شكاها له زيد رضى الله عنه وشاوره فى طلاقها ومفارقتها قال له على سبيل النصيحة والتأديب المطلوب « أمسك عليك زوجك واتق الله » أى أمسكها ولا تفارقها واتق الله فى شكواك منها واتهامك لها بالتكبر والترفع عليك . لأنه كان شكا منها ذلك . وأخفى فى نفسه ﷺ ماكان أعلمه الله به من أنه سيتزوجها . والله مبدى ذلك بطلاق زيد لها وتزويجها منه صلى الله عليه وسلم أى مظهره فى عالم الوجود .

وليس فى هذا الأخفاء مايعاب عليه ﷺ أصلا . بل هو غاية الفضل وعين الكمال . لأن ذلك إنما كان سراً بينه وبين خالقه جل وعلا لم يأمره بأذاعته والتحدث به قبل أوانه فكتمانه فى الحقيقة قبل مجيء وقته هو الكمال الذى لاينبغى غيره .

ونظير هذا ماوقع منه ﷺ فى قصة السيدة عائشة رضى الله عنها حيث أتاه جبريل عليه السلام قبل أن يتزوجها . بصورتها على سرقة من حرير وقال له هذه زوجتك يامحمد . وقد عرفها رسول الله ﷺ حقاً ولم يشك فى أنها ستكون من أزواجه . ومع ذلك فقد ترك هذا الأمر سراً مكتوما بينه وبين ربه وقال تلك المقالة الحكيمة التى رواها الامام البخارى فى صحيحه وهي قوله عليه السلام (أن يكن من الله يمضه) يعنى أنه من الله ولا بد فلا أتركه إلى أن يجيء وقته الموعود . فلما جاء هذا الوقت أظهره الله تعالى وتم ما أراده :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فمن أين يكون الاخفاء المذكور نقيصة أو يعد خيانة للوحي . بل لو أنه عليه الصلاة والسلام كان قد أذاع هذا السر المكنون والأمر المصون لكان ذلك هو الخروج عن دائرة الحزم والكمال .

وليس معنى الخشية فى قوله تعالى (وتخشى الناس) مجرد خوفه قالة المنافقين وطعنهم فى ذاته الكريمة بقولهم تزوج زوجة ابنه أى من تبناه وإن ارتضاه كثير من المفسرين بل المراد أنه عليه السلام خشى ضرر الناس ووقوعهم فى الهلاك بسبب إساءة ظنهم به وبسط ألسنتهم فيه بالسوء وكما وقع له ﷺ أنه كان واقفاً مرة مع زوجته صفية ليلا فمر عليه رجلان من أصحابه فلما أبصراه واقفا معها أسرعا فى المشى فقال عليه الصلاة والسلام (على رسلكما أنها صفية بنت حيى) فقالا سبحان الله أو نظن بك سوءاً يارسول الله فقال إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وقد خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرا .

هذا هو المعقول اللائق بعظيم منزلته ﷺ وإلا فمجرد الخوف من قالة الناس وخشية الطعن منهم مما يجب أن ينزه عنه مقام النبوة الأسمى فأنه إنما ينشأ عن حب المحمدة والثناء والحرص على الجاه عند الناس وحسن الأحدوثة بينهم . وهذا مما يترفع عنه آحاد الأتقياء فضلا عن سيد الأنبياء . وهذه الخشية التى وقعت منه ﷺ إنما هى من أخلاقه الثابتة وأوصافه اللازمة فى جميع أحواله كما قال تعالى (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً)

ثم لما انتهت مصلحة الاخفاء بقضاء الله تعالى له ﷺ بزواج زينب وإظهار ذلك بالفعل وإنزال الوحى العلم به نسخا لما كان عليه الجاهلية من تحريم أزواج الأدعياء ، كانت إذاعة هذا الأمر وتبليغه للأمة مراعاة للمصلحة العامة أهم وأولى . بل لم يكن ثمة مندوحة عن ذلك تنفيذاً لأمر الله تعالى العليم بمصالح العباد .

وعلى ذلك فليست قصة زينب المذكورة مسوقة مساق العتاب له ﷺ لما توهمه المفسرون وإنما سيقت فى الحقيقة لبيان كماله وحزمه عليه الصلاة والسلام وشدة شفقته على الناس وحرصه على سلامتهم من الأذى كما يومىء إليه قوله تعالى قبل هذه القصة (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) فان إعطاء النبى ﷺ هذا المنصب العظيم وإحلاله هذه المنزلة الرفيعة التى جعلت رأيه فوق رأى الجميع بحيث لايكون لمؤمن ولا مؤمنة الخيرة فى شىء ما بعد قضائه ورأيه عليه الصلاة والسلام ، يدل دلالة ظاهرة على أن هذه القصة وهى قصة زينب المذكورة إنما ذكرت كالتعليل لاستحقاقه ﷺ ماذكر ، فلا بد حينئذ أن يكون مضمونها مدحا له ﷺ وتنزيها له عن جميع الأغراض والحظوظ النفسانية ، فما قيل من أنه ﷺ أبصرها فتعلق قلبه بها وأخفاه فهو قيل ساقط كما قال بعض العلماء لايلتفت إليه وأن جل ناقلوه فأن أدنى الأولياء لايصدر عنه مثل هذا ، وكذلك الاعتذار عنه بأن ميل القلب غير مقدور عنه فأنه أيضا مما يجب صيانة النبى ﷺ ، عنه ويرد هذا القيل أن الله سبحانه وتعالى لم يبده وإنما أبدى نكاحه إياها نسخا لما كان عليه الجاهلية كما تقدم .

وقد يقول قائل فما تصنع بقوله تعالى « والله أحق أن تخشاه » فانه يدل على معاتبة النبى ﷺ بأنه خشى الناس ولم يخش الله الأحق بالخشية . قلنا كلا بل المعنى والله أحق أن تخشاه أى جدير بأن تخشاه كما فعلت يامحمد وذلك لأن خشية ضرر الناس وتوقى هلاكهم الذى وقع منه ﷺ على ماسبق إنما نشأ من مراقبته لله تعالى وقيامه بحق الرعاية التى جعلها الله تعالى له عليهم . فهو فى الواقع إنما خشى الله فى الناس فجاء قوله

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عز وجل والله أحق أن تخشاه تقريرا له على ما فعل وإخبارا بأنه تعالى جدير بأن يخشاه مثلك يا محمد فى عباده بأن يفهم أسباب الغدر والهلاك ويحرض على هدايتهم وسعادتهم فى الدارين .

ويستفاد من هذه القصة علاوة على ما تقدم انه ينبغى للخاصة إخفاء الأمور الدقيقة عن العامة وعدم اطلاعهم إلا على ما فيه مصلحتهم فحسب .

هذا وأما قوله جل ذكره (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله) فلا ندرى كيف ساغ لجماعة من المفسرين أن يصرحوا بأن هذا تعريض به ﷺ أى إشارة إلى انه لم يقم بواجب التبليغ كما ينبغى ولم يفرد الله تعالى بالخشية كما هو دأب إخوانه المرسلين من قبله . وهذا أمر عجيب بعد ما انعقد عليه الاجماع القاطع من أفضليته ﷺ على الكل وتفوقه عليهم فى جميع خصال الخير وصفات الكمال . وليت شعرى ما الذى أبقوه له ﷺ من الشرف والفضل بعد ما وصموه بتلك الوصمة الشنيعة وجردوه من هذه الخشية التى عليها مدار الفضل كله . وليتهم إذ لم يوفقوا لفهم هذه الآية الكريمة قد وقفوا عند حدهم وفوضوا العلم فيها لعلام الغيوب ولم يتهجموا على مقام العصمة المنيع بما تنفر عنه القلوب وتمجه الأسماع ، والذى يظهر لنا من هذه الآية الكريمة أنها على عكس ما فهموا . لم تسق إلا للدلالة على أن جميع المرسلين الذين منهم (بل سيدهم وأفضلهم على الاطلاق جملة وتفصيلا) النبى ﷺ لاينبغى لهم ولم يقع منهم قط كتمان شىء مما أمروا بتبليغه للخلق كما لم يحصل منهم خشية لغيره جل وعلا فى حال من الأحوال .

ولا شك أن هذا برهان قاطع على أن خشيته صلى الله عليه وسلم للناس لم تكن إلا خشية لله تعالى فيهم على ما أسلفنا .

فكيف أنهم رحمهم الله لم يفطنوا إلى هذه النقطة البليغة والاحتراس البديع حتى أخذوا يتقولون على صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه بما لا يرتضونه لأنفسهم . فانا لله وإنا إليه راجعون . ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ؟

عبد الجواد محمد الدومى

تفسير القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ؟ صدق الله العظيم

أرسل إلينا حضرة المحترم الفاضل « محمد عبد المنعم دسوقى المالكى الشاذلى ، بيندر بيا » كتابا جاء فيه بعد الديباجة : أحييك بتحية الاسلام وأرجوك التكرم بتفسير هذه الآيات الكريمة على صفحات مجلة الاسلام ولكم منا الشكر ومن الله الثواب والأجر . فنقول بعون الله تعالى وتوفيقه :

خلق الله تعالى الأرواح صافية نقية ، مفطورة على حب الحق والخير ، مجبولة على الاعتراف بوجود صانعها الحكيم ، وصفاته الذاتية ، تعرف صانعها وتقر بربوبيته ، وتؤمن بعظمته وسلطانه ، تحبه وتحب مايحبه من العلم والنور والطاعة والخير ، وتكره مايكرهه من الجهل والظلم والكفر والفسوق والعصيان . هذا هو حالها الأصلى ووصفها الذاتى ، لم يلقنه لها ملقن ، ولم تكتسبه بارشاد ولا تعليم ، ولقد بقى لها هذا الوصف لم يطرأ عليه تغيير ولا تبديل ، وبقيت هكذا لطيفة نورانية ، عالمة دراكة ، خاضعة لربها ، قريبة منه ، مشاهدة لجلاله وجماله ، ترى الحق حقاً فتحن إليه وتميل إلى اتباعه ، وترى الباطل باطلا فتجتنبه ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتجتهد فى الهرب منه ، مدة وجودها فى موطنها بعيدة عن الاتصال بعالم الأشباح ، وقد علم سبحانه أنها عند ماتنتقل من موطنها الأصلى وتفارق عالمها الحقيقى ـ العالم النورانى اللطيف ـ إلى هذا العالم الثانى عالم الأشباح الأرضية والأبدان الكثيفة الظلمانية ، ستتبدل ـ إلا من عصم الله تعالى وسبقت لهم منه الحسنى بمزيد الاختصاص ـ حالا بعد حال ، لما يتسلط عليها من الشهوات البهيمية والخواطر النفسانية ، والوساوس الشيطانية ، فتبعد بعد قربها ، وتجهل بعد علمها ، وتنكر ما كانت تعرفه من الحق والخير ، كما قال صاحب المباحث الأصلية :

ولم تزل كل نفوس الأحيا ... علامة دراكة للأشيا
وإنما تعوقها الأبدان ... والأنفس النزّغ والشيطان

لذلك اقتضت مشيئته تعالى الربانية ، وحكمته العلية ، أن يأخذ عليها ـ قبل توغلها فى الاتصال بهذا العالم الثانى الجديد ، عالم الحظوظ والشهوات ـ العهود والمواثيق بالاقرار بألوهيته والاعتراف بربوبيته ، ويشهدهم على أنفسهم بذلك ، وهو خير الشاهدين ، إلزاما لهم وقطعاً لمعاذيرهم ، لئلا يقولوا يوم القيامة : إنا كنا غافلين ، أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، وهذا هو المشار إليه بقوله عز من قائل (وإذ أخذ ربك من بنى آدم) الآية ، أى واذكر يا محمد لكل من هم أهل للخطاب والتذكير ، فيشمل اليهود الموجودين فى زمنه ﷺ وغيرهم من المكلفين ، أى اذكر لهم وقت أن أخذ (ربك) الحكيم المعروف بسمة القدرة والعلم ، الموصوف بصفات الجلال والكمال (من بنى آدم) أى من آدم عليه الصلاة والسلام وبنيه ، فهو على حد قوله تعالى : (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) أى فرعون وآله ، وقوله ﷺ « أنا سيد ولد آدم » أى سيد آدم وولده ، وتقول : جاءنى آل فلان ، تريد جاءنى فلان وآله (من ظهورهم) بدل من بنى آدم بدل بعض من كل ، أى أخذ ربك من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام ، وظهور بنيه (ذريتهم) بأن أخرج أولا ذرية آدم من ظهره ثم أخرج من ظهور هذه الذرية ذريتهم أيضاً وهكذا نسلا بعد نسل إلى آخر حلقات السلسلة البشرية حسب الترتيب والتدريج الذى سيكونون عليه فيما بعد ، والتصريح باسم الذرية فى هذا الموضع دليل على أن المأخوذ عليه العهد ليس هو مجرد الأرواح ، بل الأرواح فى صور وأشكال أنشأها الله تعالى كما شاء على مقتضى حكمته ، وروى أنهم كانوا كهيئة الذر ـ والذر صغار النمل ـ وأن استخراجهم المذكور وأخذ العهد عليهم كان فى يوم عرفة بمكة المشرفة ، وقيل كان ذلك فى الجنة ، وقيل : غير ذلك ، والله أعلم بحقيقة الأمر ، أخرجهم سبحانه وتعالى من الظهور والأصلاب وهم لم يزالوا على ماهم عليه من المعرفة والادراك لم يطرأ عليهم شىء من الضلالات والجهالات (وأشهدهم على أنفسهم) أى ألهمهم الله وقررهم بربوبيته تعالى وأشهد كلا منهم على نفسه بذلك ، وليس بلازم أن يكون الله تعالى فى ذلك الحين قد نصب لهم دلائل وآيات بها استدلوا على ربوبيته وتوصلوا إلى معرفته ، لما علمته من التمهيد السابق من أن هذه المعرفة كانت فطرية فيهم وضرورية عندهم لايحتاجون فيها إلى نصب أدلة وإقامة براهين ، إذ المحتاج إلى ذلك إنما هو البعيد المحجوب بشهواته وظلماته ، قال فى لطائف المنن : واعلم أن الأدلة إنما تنصب لمن يطلب الحق لا لمن يشهده لأن الشاهد غنى بوضوح الشهود

عن أن يحتاج إلى دليل ، وإذا كان من الكائنات ماهو غنى بوضوحه عن إقامة دليل ، فالمكون أولى بغناه عن الدليل منها ، وفى الحكم « متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك » وعن سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه « إنا لننظر إلى الله تعالى ببصر الايمان والايقان فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان » ولله در من يقول :

عجبت لمن يبغى عليك شهادة وأنت الذى أشهدته كل مشهد

فلا جهالة ثم ولا حجاب ، ولا حاجة إلى نصب أدلة وبراهين ، قال الحق سبحانه وتعالى فى تقريرهم وإشهادهم على أنفسهم (ألست بربكم) ألست بصانعكم ومعبودكم ومربيكم بنعمى العديدة التى من أجلها نعمة المعرفة والايمان (قالوا بلى) أنت ربنا ومالك أمرنا (شهدنا) أقررنا بذلك واعترفنا به فلا رب غيرك ولا معبود سواك ، ولا شريك لك فى الألوهية ، ولا معين لك ولا وزير (أن تقولوا) أى وإنما فعل الله تعالى معكم ذلك بأن أخذكم من ظهور آبائكم وأشهدكم على أنفسكم بربوبيته ، لئلا تقولوا (يوم القيامة) حينما ينكشف الغطاء وتظهر حقائق الأمور (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا) فقوله عز وجل (أن تقولوا) على تقدير لا النافية ، ونظيره قوله تعالى (وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم) أى لئلا تميد بكم ، وقوله أيضاً (يبين الله لكم أن تضلوا) أى لئلا تضلوا ، ويجوز أن يكون التقدير فعل معكم ذلك كراهة أن تقولوا يوم القيامة (إنا كنا) فى الحياة الدنيا (عن هذا) التوحيد ومعرفة الصانع جل وعلا وما يجب له من الخضوع لأحكامه وامتثال أوامره ونواهيه (غافلين) غير عالمين به ، وذلك لأنه بعد الأخذ والاشهاد السابقين ، وبعد التذكير بهما على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام فى عالم الشهادة عند التكليف لا يمكن دعوى الغفلة وعدم العلم بحال ، فهذه إذن دعوى غير ناهضة ، ومعذرة غير مقبولة خصوصاً بعد أن أزاح الله تعالى علاهم بارشاد الرسل وإنزال الكتب ، ومكنهم من النظر والاستدلال وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ، وكذلك معذرتهم التالية وهى المفادة بقوله (أو تقولوا) يوم القيامة تماسا للأعذار وتخلصاً من عذاب النار (إنما أشرك آباؤنا من قبل) أى أن آباءهم الذين سلفوا من قبلهم وسبقوهم فى الوجود هم الذين اخترعوا الشرك ، ومهدوا سبله ، وغرسوا مبادئه ، ومكنوا أصوله (وكنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهؤلاء الآباء المشركين ونشأنا على ما كانوا عودونا إياه ونفثوه فى نفوسنا من مبادىء الشرك والضلال ، ولم نستطع التحول عنه لأن مالنا من الثقة فيهم وحسن الظن بهم وحمل تصرفاتهم كلها على السداد والخير ، حال بيننا وبين النظر فى عقائدهم والتفكير فى أديانهم ، وجعلنا نتلقى كل مايوحون به إلينا بالقبول والتسليم ، هكذا يقولون ، وبذلك يعتذرون ، وماأسخفه من قول وأوهاه من عذر لاينفع ولايفيد (أفتهلكنا) أفتغضب علينا وتعذبنا وتجعلنا من الهالكين وأنت الحكم العدل المنزه عن العبث والظلم (بما فعل المبطلون) أى بما جره علينا أولئك الآباء الذين مكنوا للباطل وأسسوا دولته ووطدوا دعائمه ، والمعنى أنه جل شأنه استخرجهم من ظهور آبائهم ، وقررهم بربوبيته وأخذ عليهم العهد مجتمعين وأشهدهم على أنفسهم وذكرهم بذلك على ألسنة رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام بعد وجودهم

وبلوغهم حد التكليف لئلا يعتذروا يوم القيامة بواحد من هذين العذرين المذكورين ، وإن كان جل شأنه له الحجة البالغة والقول الدامغ ولا يسأل عما يفعل .

وهذا الذى ذكرناه كله فى معنى الآيتين الكريمتين هو الظاهر منهما والمفهوم من عبارتهما والمسموع من أفواه مشايخنا ، وعليه جمهور المحدثين ومشايخ الصوفية قاطبة ، رضى الله عنهم وعنا بهم أجمعين ، ويعضده ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال « إن الله تعالى أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه كالذر ، ثم كلمهم قبلا : ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا » وقوله عليه الصلاة والسلام : « أخذ الميثاق من ظهر آدم » أى من أولاد آدم الذين استخرجهم من ظهره بدليل باقى الحديث ، وإنما قال ﷺ « أخرج من صلبه كل ذرية ذرأها » مع أن المخرج من صلبه مباشرة إنما هم أولاده فقط ، وأما أولاد أولاده فانما أخرجوا من صلب أولاده ، وهكذا إلى آخر السلسلة اكتفاء بذكر الأصل عن الفرع لأنه متى كان هو الأصل الأول والمصدر الأصلى فكأن الجميع من صلبه ، وهذا ظاهر لاخفاء فيه .

وذهب جماعة من المفسرين قديماً وحديثاً إلى صرف الآيتين عن ظاهرهما وجعلهما من باب التشبيه والتمثيل فقط ، وأنكروا أن يكون هناك أخذ عهد وإشهاد وسؤال وجواب حقيقة ، قالوا فالمقصود بيان أن الله تعالى خلق الناس مستعدين للاستدلال مفطورين على معرفة الصانع ومحبة الخير ، كما قال عليه الصلاة والسلام « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » الحديث ، وها هو حل الآيتين الكريمتين على هذا الرأى ، (وإذ أخذ ربك) أى واذكر يا محمد وقت أن أخذ ربك (من بنى آدم من ظهورهم) من أصلابهم (ذريتهم) بأن أخرجهم نطفاً من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات ، ثم صير النطف علقاً ثم جعل العلق مضغا ثم جعل المضغ عظاما ثم كسا العظام لحما ثم أنشأهم بنفخ الروح فيه خلقاً آخر وجعلهم بشراً سوياً ثم أخرجهم من بطون أمهاتهم وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة وأعطاهم الادراك ا (وأشهدهم على أنفسهم) نصب لهم دلائل قدرته وبدائع صنعته . أى أراهم من آياته الباهرة مايدلهم على وجوب وجوده ووجوب صفاته الكمالية ومكنهم من النظر ومهد لهم طرق الاستدلال بذلك حتى كأنه قال لهم (ألست بربكم) أى معبودكم وخالقكم والمتصرف فى شؤونكم كلها (قالوا بلى) نعم أنت ربنا (شهدنا) بذلك أى اعترفنا وأقررنا به بمعنى تمكننا بسبب هذه الأدلة والبراهين من المعرفة والايمان ، فشبه الحق تعالى خلقهم مستعدين للنظر والاستدلال بدلائله عز وجل المنصوبة فى أنفسهم وفى الآفاق وسائر العوالم العلوية والسفلية ، وتمكينهم بواسطة ماوهبه لهم من البصائر والعقول من المعرفة والايمان تمكيناً تاما ، بحالة من طولب بالاقرار والاعتراف فسارع إلى ذلك بلا تردد ولا تلعثم ، من غير أن يكون هناك أخذ عهد ولا سؤال ولا جواب حقيقة كما مر ، وهذا النوع من المجاز معروف فى كلام العرب ومشهور عندهم نظما ونثراً ، قال تعالى : (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) وقال (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وقال الشاعر :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

امتلأ الحوض وقال قطنى مهلا رويداً قد ملأت بطنى

ومما احتج به أنصار هذا المذهب على صحته :

(١) أنه تعالى حكى عن هذه الذرية أنهم يقولون (إنما أشرك آباؤنا من قبل) وهذا الكلام لا يصح أن يلام من كان آباؤهم على الشرك لا من كان آباؤهم من أهل المعرفة والايمان مثل أولاد آدم عليه الصلاة والسلام

(٢) أن أخذ العهد لا يمكن إلا من العاقل فلو أخذ الله العهد من أولئك الذر لكانوا عقلاء ولو كانوا وأعطوا ذلك العهد حال عقلهم لوجب أن يتذكروا فى هذا الوقت أنهم أعطوا عهداً قبل دخولهم فى العالم ، إذ الانسان إذا وقعت له واقعة عظيمة لا يجوز مع كونه عاقلا أن ينساها نسيانا كليا لا يتذكر لا كثيراً ولا قليلا .

(٣) أن هذا العهد إما أن يكون قد أخذه الله منهم فى ذلك الوقت ليكون حجة عليهم فى ذلك الوقت أيضاً أو ليصير حجة عليهم عند دخولهم فى دار الدنيا أو يوم القيامة ، والأول باطل لانعقاد الاجماع على أنهم بسبب ذلك القدر من العهد والميثاق لا يصيرون مستحقين للمدح والذم والثواب والعقاب ، ولا يجوز أن يكون المقصود منه أن يكون حجة عليهم عند دخولهم فى دار الدنيا أو يوم القيامة لأنهم لما لم يذكروا ذلك العهد فى الدنيا لا يصح أن يكون حجة عليهم .

ولكن ليس من الصعب التخلص من هذه الوجوه ودفع ما فيها من الاشكالات (أما الأول) : فلأنه ليس المراد بقولهم : (إنما أشرك آباؤنا من قبل) آباءهم المباشرين الذين خرجوا من أصلابهم بل المراد بهم مطلق أصولهم الذين سلفوا من قبل وسبقوهم فى الوجود ممن كانوا على الباطل والشرك ، وليس بلازم أن هذا العذر يعتذر به كل واحد منهم . بل يحتمل أن يكون الكلام على سبيل التوزيع ، فبعضهم يقول (إنا كنا عن هذا غافلين) وبعضهم يقول (إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) ولا مانع من أن بعضهم يعتذر بالعذرين معاً (وأما الثانى) : فلأنا نختار أنهم كانوا عقلاء فاهمين حين أخذ العهد ولكن بعد أن حلت أرواحهم فى هذه الأشباح الظلمانية الكثيفة واشتغلت بتدبيرها وتسلطت عليها الحظوظ والشهوات — نسوا ذلك العهد ولم يذكروا منه شيئاً لبعد الشقة وطول الأمد وللتباين الشديد بين الحالتين ، الحالة كانوا عليها من قبل والحالة التى هم عليها الآن (وأما الثالث) : فلأنا نقول إن الحكمة فى أخذ العهد المذكور أن يكون حجة عليهم فى دار الدنيا ويوم القيامة ، والاعتذار بأنهم لم يذكروه حتى يكون حجة عليهم مدفوع بأن رسلهم الذين أرسلوا إليهم قد لفتوا نظرهم إلى ذلك وذكروهم به ، وقوله تعالى (وإذ أخذ ربك) إلخ خير مصداق لذلك وأعظم شاهد له .

والخلاصة أن فى هذه المسألة خلافا بين العلماء والمفسرين ، فبعضهم يثبت العهد السابق ويقول إنه كان عهداً على الأرواح فى أشكال وصور صغيرة كهيئة الذر وأن الله تعالى كلم الأرواح فى هذه الصور وقررها بربوبيته حقيقة وأنها أجابته حقيقة بلسان المقال ، ويستدل على ذلك بظاهر الآيتين الكريمتين اللتين معنا ، وبحديث ابن عباس رضى الله عنهما المذكور آنفاً وبآثار أخرى أيضاً مثل الذي يروى عن سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه أنه كان يقول (إنى لأذكر الذى عهد إلى ربى) وقد قيل فى قوله تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) الآية أن المعنى كانوا

متفقين على الايمان والاعتراف بالربوبية حين أخذ الله العهد عليهم فى عالم الذر فقال لهم (ألست بربكم) وأجابوه بأن (قالوا بلى) ففى ذلك الحين كانوا كلهم عارفين بربهم مؤمنين بعظمته ووحدانيته متفقين على ذلك ، ولما صاروا إلى عالم الشهادة وحلت الأرواح فى هذه الأشباح اختلفوا وتفرقوا شيعاً وذهب كل مذهبا مخصوصا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وهذا هو الرأى الذى نختاره ونطمئن إليه ولا نرى موجباً للعدول عنه :

والبعض الآخر : ينكر هذا العهد بالكلية ويقول إنه عديم الجدوى ولا طائل تحته ، ولذلك يصرف الآيتين الكريمتين عن ظاهرهما ويجعلهما من باب التمثيل والتشبيه ليس إلا . .

ولا يخفى أن هذا تعسف وتكلف إذ من الثابت المعلوم أن حمل النصوص على ظاهرها متعين أو مستحسن على الأقل ، وأن إخراجها عن هذا الظاهر لايصار إليه إلا إذا كان محالا أو ناقضاً لأصل من الأصول المقررة ، وأما مجرد الاستبعاد وقوفا مع العادة فليس بشىء خصوصا والموضوع الذى نحن بصدده قد تعضد بالحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ ، وإذا كنا متى استبعدنا شيئاً أنكرناه وتعسفنا فى تأويل النصوص الشرعية وفقاً له وفراراً منه ، ولم نقم وزناً للاحاديث النبوية الناطقة ، فقد ظلمنا العلم وعققنا الدين وحاربنا سنة نبينا ﷺ أشد محاربة وأشنعها نعوذ بالله من ذلك ونسأله العصمة منه ، ونحن لا نقول هذه المقالة ولا نجأر بهذه الشكوى بالنسبة لموضوعنا الحالى خاصة ، إذ هو فى الواقع أبسط من غيره والأمر فيه أيسر مما فى غيره من موضوعات شتى أصبحنا نلمس فيها الشطط من كثير من الكتاب الذين حلا لهم هذا الشطط وساغ لهم مورده حتى اجترءوا على كتاب الله تعالى بتأويل آياته الكريمة تأويلا بعيداً لا تدعو إليه ضرورة ولا تشهد له سنة بل تشهد السنة بخلافه وتنطق الآثار بتكذيبه ، وكأن أصحاب هذا المبدأ لا يحفلون بأحاديث الآحاد ولو كانت صحيحة مع أنها تسعة أعشار السنة ، وقد قال الامام الشافعى رضى الله عنه : الذين لقيناهم كلهم يثبتون خبر واحد عن واحد عن النبى ﷺ ويجعلونه سنة حمد من تبعها وعيب من خالفها : وقال : من خالف هذا المذهب كان عندنا مفارقا لسبيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل العلم بعدهم وكان من أهل الجهالة (وكذلك) أى كذلك التفصيل المحكم البليغ المشتمل على المصالح والمنافع الجليلة للعباد فى العاجل والآجل ، بحيث إن من أراد أن يعرف المنافع والمضار فليسترشد به وليرجع إليه وليجعله دليله ونبراسه ، وحينئذ فلا يصح لأحد كائناً من كان فى أى زمن من الأزمنة أن يعترض على تشريعه سبحانه وتعالى ، أو يقترح تعديلا لحكم من أحكامه ، أو يختلج فى صدره أن هناك أنفع وأصلح مما رسمه وأمر به سواء كان ذلك خاصاً بالعبادات أو المعاملات أو بنظام القضاء والحكم ، فى الأمور المدنية وفى الحوادث الجنائية وفى جميع شؤونهم المعاشية والمعادية (نفصل الآيات) نوضحها ونبينها إيضاحا تاما وبياناً شافياً ميسراً لكل أحد فى أى باب من الأبواب (ولعلهم يرجعون) أى ولكى يرجعوا عما هم فيه من التمادى فى الضلال ، نفصل الآيات ونصرفها بين المواعظ والعبر والوعد والوعيد والحدود والأحكام والاخبار عن أحوال الأمم الماضية والقرون الخالية (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد فى السماء) من أراد له السعادة وفقه وألهمه رشده وقذف الهداية فى قلبه وحبب إليه الايمان والخير ، ويسره لعمل أهل السعادة

فأعانه على ذكره وشكره وحسن عبادته حتى يدخله الجنة ، ومن أراد له الشقاوة خذله وحبب إليه الكفر والفسوق والعصيان ، ويسره لعمل أهل الشقاوة حتى يموت على ذلك فيصليه جهنم وساءت مصيراً . ولهذا ورد أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل عن قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم) إلخ ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال : « إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منا ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » فقال الرجل : يارسول الله ، ففيم العمل ؟ فقال « إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الله الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله الله تعالى النار » وقوله عليه الصلاة والسلام « مسح ظهره بيمينه » من المتشابه الذى يجب تأويله لأن ظاهره يؤدى إلى المحال ، فيؤول بأنه على تقدير محذوف على حد قوله تعالى (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) وقوله ﷺ فى حديث آخر : « ينزل ربنا إلى سماء الدنيا » أى مسح الملك ظهره بيمينه ، وجاء أمر ربك إلخ ، وينزا الملك بأمره إلخ ، ففى هذا مجاز الحذف وهو شائع كثير ، والسر فيه أن مسح الملك لظهر آدم عليه الصلا والسلام لما كان بأمره تعالى وباقداره وتيسيره (والله خلقكم وماتعملون) صح إسناد المسح إليه عز وجل ثم الظاهر ـ والله أعلم ـ أن النبى ﷺ فسر بهذا الحديث الشريف بيان حالة وقعت للذرية بعد أخذ العهد على الجميع ، وبعد أن حصلت الاجابة والاعتراف منهم جميعاً ، فيكون الحق سبحانه وتعالى بعد أن أخذ عليهم العهد وأجابوه كلهم بقولهم : بلى أنت ربنا ومعبودنا ، بأن تجلى على الجميع بالعظمة والجلال فقالو جميعاً : بلى ، أما الكفار فقالوا ذلك رهبة وخوفا ، وأما المؤمنون فقالوها إيماناً وتسليما . بعد ذلك فصل الحق سبحانه وتعالى بينهم وميز أهل الجنة من أهل النار ، وقال لهم ولمن حضر ذلك من ملائكته الكرا خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون وهؤلاء هم السعداء ، وخلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النا يعملون . وأما حديث ابن عباس رضى الله عنهما السابق ذكره فهو لبيان أخذ العهد والاقرار العام أولا . فكل من الحديثين محمول على حالة خاصة ، لايقال : إن حديث عمر رضى الله عنه إنما قاله ﷺ تفسيراً للآية الكريمة وبياناً للمراد منها لأنه إنما صدر منه جوابا لمن سأله عن معناها ، فكيف هذا مع أن بين معنى الآية ومعنى الحديث المذكور على ماتقرر بوناً شاسعاً لأن كلا منهما على هذا قد دل على حالة خاصة ، لأنا نقول إن حديث عمر هذا فى الواقع كالتقييد لما قد يتبادر من العموم فى معنى الآية الكريمة ودفع لما عساه أن يخطر فى بعض الأذهان من أنه حيث كانت الذرية كلهم قد اعترفوا بالربوبية وأجابوا بقولهم بلى ، فالمفهوم أنهم يكونون كلهم سعداء ومن أهل الجنة فكيف صار فيهم المؤمن وفيهم الكافر ، فبين عليه الصلاة والسلام أن الاجابة التى تضمنتها الآية وإن كانت قد وقعت من الجميع إلا أنه تعالى قد ميز بينهم بعد ذلك طبقاً لما سبق فى علمه القديم وجعل فريقاً للجنة وفريقاً للسعير .

هذا ماحضرنا وأردنا إملاءه فى هذا الموضوع المترامى الأطراف ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عبد الجواد محمد الدومى ـ خطيب مسجد الزينى بالسبتية

تفسير القرآن الكريم

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الجواد محمد الدومى

تفسير سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَالسَّمَآءِ وَالطَّارِقِ ۞ وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا الطَّارِقُ ۞ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۞ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۞ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۞ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۞ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۞ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۞ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۞ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۞ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۞ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۞ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۞ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا

صدق الله العظيم

بعث إلينا حضرة المحترم الفاضل (صابر متولى حسن الحامدى الشاذلى . بفابريقة بيا . بنى سويف) خطاباً يرجو منا فيه تفسير قوله تعالى (فلينظر الإنسان مما خلق إلى قوله تعالى فما له من قوة ولا ناصر) من السورة الكريمة . وإتماماً للفائدة أردنا أن نتكلم على السورة برمتها والله جل شأنه المسئول أن يلهمنا السداد فنقول :

هذه السورة مكية بلا خلاف . ووجه مناسبتها للسورة التي قبلها أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر

فيما قبلها حال الكفار وما هم عليه من التكذيب والإنكار للقرآن الكريم وما جاء به من أمر البعث والجزاء ، ناسب أن يذكر هنا بيان أصل هذا الإنسان المكذب ومادة خلقه لينبهه إلى ضعفه وحقارته . وليرشده إلى أن الإله الذى قدر على خلقه من ماء دافق . وقلبه فى أطوار مختلفة وجعله بشراً سوياً . ولم يعى بذلك قادر على إعادته بعد الموت ليوفيه جزاء عمله ، وما قدمت يداه . ثم ذكر بعد ذلك حال القرآن الكريم وأنه فصل ليس بالهزل مقسما على ذلك بالسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع ليربى المهابة له فى القلوب ، ويغرس له المحبة والتعظيم فى الصدور . وليشعر الكفار المكذبين بأن ماورد فيه خاصاً بهم من القوارع والزواجر حق لايتخلف ، وأمر واقع بهم لاشك فيه ولا ارتياب ، إن لم يقلعوا ويتوبوا .

وهناك مناسبة أخرى، هى أن الله تعالى لما ذكر فى السورة السابقة، إحاطته بهؤلاء الكفار المكذبين ، وقدرته عليهم ، وعلمه بجميع أحوالهم، ناسب أن يقيم لهم فى هذه السورة الكريمة الدليل الدال على صحة هذا المدعى ، فإن من قدر على خلق السماء وما فيها من الكواكب والنجوم الثواقب ، وعلى خلق الإنسان من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب ، كيف يعجز عن أن يكون حافظاً على العباد، مهيمناً عليهم محيطاً بكل مايصدر منهم من حسن أو قبيح ، تعالى عز شأنه وهو أصدق القائلين (والسماء والطارق) إلخ . . . ولعمرى إن فى الإتيان بهذا القسم ، وأمثاله فى القرآن كثيرة ، لدليلا واضحاً على عظم جحود الإنسان وقسوة قلبه وشدة غفلته ، وفرط نسيانه لمبدئه ، وما خلق لأجله من شكر المنعم ، والاعتراف بعظيم سيطرته وباهر سلطانه ، لذلك اقتضت الحكمة لَفْتَ نظره إلى السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم إلى غيرذلك من آياته تعالى فى الأنفس والآفاق ليتأمل فى أحوالها وأشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها حتى يتوصل بذلك إلى معرفة صانعها القدير ومبدعها الحكيم ، فإن الأثر يدل على المؤثر ، والصنعة تدل على الصانع .

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

(إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها . وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) . آيات مختلفة ومتنوعة . خذ مثلا ، اختلاف الليل والنهار، بالقصر والطول والحر والبرد ، والظلمة والنور ، والحركة والسكون . كم فى ذلك من آيات يعتبر بها المؤمن الصادق حتى لاتبطره العطية بطلوع فجرها وامتداد نهارها . ولا تيئسه البلية بهجوم ليلها واعتكار ظلامها . ثم إن الاستدلال بهذه الآثار إنما هو شأن المحجوبين وحال الغافلين . لأن المشاهد غنى بالشاهد عن إقامة الأدلة وتصب البراهين .

هذا والمراد بالسماء هنا السماء المعروفة كما عليه الجمهور ، أى جنس السماء الشامل لكل سماء . أقسم الله تعالى بها لما فيها من العجائب الجمة والنعم العظيمة حيث إن الله تعالى خلقها بلا عمد وجعلها سقفاً محفوظاً لأجل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإنسان وأطلع فيها النيرين لأجله ، وأسكن فيها ملائكته الكرام لأجله ، إذ منهم الموكل بنزول الوحى على الأنبياء لأجله ، ومنهم الموكل بالمطر لأجله ، ومنهم الموكل بالريح لأجله ، ومنهم الموكل بكتابة الأعمال لأجله ، فالكل لأجله ، وهو مخلوق لخدمة ربه وطاعة مولاه ، فإن اشتغل بذلك أخدمه جميع الكائنات ، وإلا سخره وأذله لأحقر المخلوقات ، وقيل المراد من السماء هنا المطر كما فى قول الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

ولكن ذكر الطارق بعده يبعده (والطارق) هو فى الأصل كل مايطرق ليلا والمراد به هنا النجم الثاقب كما بينه تعالى فيما بعد . أقسم الله به تفخيما لشأنه وإرشاداً إلى النظر فى أمره (وما أدراك ماالطارق) هذا مبالغة فى تعظيم الطارق ، وليس المقصود منه نفى الدراية عنه ﷺ حقيقة فإنه تعالى يعلم أنه لايدريه . ثم فسر الطارق بقوله (النجم الثاقب) أى المضىء لثقبه الظلام بضوئه .

والمراد جنس النجم فيشمل كل نجم ، وقيل : المراد الثريا ، وقيل زحل ، وقيل غير ذلك . (إن كل نفس لما عليها حافظ) قرىء بتشديد لما وتخفيفها ، وعلى الأول فهى بمعنى إلا و (إن) نافية أى ما كل نفس من النفوس الإنسانية وغيرها إلا عليها حافظ . وعلى الثانى . فاللام فارقة وماصلة ، وإن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف ، أى إن الحال والشان كل نفس عليها حافظ ، وهذا هو المقسم عليه ، واختلف فى المراد بهذا الحافظ فقيل : هو الله تعالى ، لأنه المهيمن الرقيب على جميع العباد ، القائم على كل نفس بما كسبت ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم ، ودوام الملاحظة لهذه المعية هو المسمى بمقام المراقبة وهو أحد مقامى الإحسان المذكورين فى قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث جبريل المشهور (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وهى على قسمين وهبية بمحض فضل الله تعالى من غير تسبب ولا اكتساب ، وهذا نادر قليل . وكسبية . وهذا هو الغالب الكثير . والطريق فى اكتسابها أن يواظب الإنسان على ذكر الله تعالى بلسانه وقلبه ، ويحافظ على الآداب الشرعية فى مأكله ومشربه وملبسه ونومه وقيامه وقعوده وسائر أحواله وتصرفاته . مع المبالغة فى حفظه لخواطره وأنفاسه ، واستشعار أن الله تعالى مطلع عليه ويراه . قال المحاسبى : أول المراقبة علم القلب بقرب الرب تعالى ، وقال رجل للجنيد : بم أستعين على غض البصر ؟ قال : بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه ، وعنه أيضا : إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من الله عز وجل ، ومتى غلبت المراقبة على العبد واستولت على قلبه فلا يمكنه أن يعصى الله تعالى معصية حقيقية ، ومنه الحديث الشريف (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن) إلخ ، وإنما تكون معاصيه صورية فقط .

وقيل . المراد هم حفظة الأعمال من الملائكة ، قال تعالى : كلا بل تكذبون بالدين ، وإن عليكم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون . و قال تعالى : إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد . وقيل المراد حافظ من الآفات والعاهات كما فى قوله تعالى : له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار لكل مكلف فإن كان مؤمنا وكل الله تعالي به مائة وستين ؛ فعن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال : وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ، ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين . ولما كان فى وجود الحفظة على الإنسان نوع من الغرابة خصوصا مع ما ورد من صفة الكاتبين وجلوسهما فوق الناجذين من داخل الفم ، والإنسان لا يراهما ولا يشعر بهما . أقسم الله تعالى على إمكان ذلك وصحة وجوده بهاتين الآيتين الكونيتين العظيمتين . السماء والنجم الثاقب ليفحم المستبعدين له و يلزمهم الحجة ، فإن من قدر على خلق الأجرام العظيمة و رفع سمكها وتسويتها و إحكام صنعها لا يستعصى على قدرته إيجاد هذين الحافظين الكريمين على الإنسان و إجلاسهما على ناجذيه أو ما شاء من جسمه والله على كل شيء قدير ، (فلينظر الإنسان مم خلق) أمر الله جل شأنه الإنسان بالنظر فى أصله ومبدأ خلقه ليعرفه قيمة نفسه وحقيقة ذاته ، وأنه مخلوق ضعيف خلق من ماء مهين ، لا يليق به التكبر والتجبر . ولينبهه على أن من قدر على خلقه مما ذكر قادر على إعادته بعد الموت وذلك لأن الإنسان إنما طغى و بغى وتكبر وتجبر وأحال الإحالة بعد الموت، من نسيان مبدئه وغفلته عن أصل منشئه ، قال تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم ؟ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) والمعنى فلينظر الإنسان بعين قلبه نظر تدبر واعتبار (مم خلق) أى من أى شيء ومن أى مادة خلقه الله تعالى وصوره فأحسن صورته . ثم استأنف تعالى لبيان جواب هذا الاستفهام فقال (خلق من ماء دافق) أى مدفوق ومصبوب من الرجل والمرأة فى رحمها ، أى خلقه الله تعالى من هذا الماء القذر المهين . بأن جعله نطفة فى قرار مكين . ثم خلق النطفة علقة فخلق العلقة مضغة فخلق المضغة عظاما فكسا العظام لحما ثم أنشأه بنفخ الروح فيه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . نطفة قذرة يجعل الله تعالى منها لحما ودما وعصبا وعظما وعروقا ويجعل منها لسانا ينطق ، وعينا تبصر ، وأذنا تسمع؛ وأنفا يشم ، ويدا تبطش، ورجلا تمشى ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . ثم يخرج الله تعالى من الفم ماء عذبا ، ومن الأنف ماء حامضا ، ومن العين ماء ملحا . ومن الأذن ماء مرا ، والكل من مادة واحدة وهى النطفة . وفى موضع واحد وهو الرأس . فسبحان الخلاق العليم .

ويؤثر عن على رضى الله عنه وكرم الله وجهه . ما لابن آدم والفخر وأوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وما بينهما هو حامل للعذرة ، نعم وقد جرى فى مجرى البول مرتين ومكث تسعة أشهر فى بطن أمه وهو محاط بالأقذار ولبث بعد ذلك عشرة أشهر يبول و يتغوط على نفسه لايملك لها نفعا ولا يدفع عنها ضررا . قتل

الإنسان ما أكفره !!! وإنما قال تعالى خلق من ماء دافق مع أن الإنسان مخلوق من ماءين ماء الرجل وماء المرأة، لأنهما لما امتزجا واختلطا صارا ماء واحدا (يخرج من بين الصلب) وهو عظام الظهر أى من بين أجزاء الصلب (والترائب) أى من بين الترائب جمع تريبة وهى عظام الصدر أو موضع القلادة من الصدر وقيل مابين الثديين وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها أطراف المرء يداه ورجلاه وعيناه وقيل غير ذلك . والظاهر أن المراد يخرج من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائب كل منهما وأن ذكر الصاب والترائب كناية عن البدن كله كما يشير إليه قول ابن عباس المتقدم ، وكتب فضيلة مولانا الأستاذ الكبير الشيخ محمد حسنين مخلوف حفظه الله تعالى ما نصه : والمفهوم من هذه الآية الشريفة أن ذلك الماء يخرج من بين أجزاء صلب كل رجل أي ظهره ومن بين ترائب كل امرأة أى عظام صدرها جمع تريبة كما روى ذلك عن سفيان وقتادة أو يخرج من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائب كل منهما كما روى عن الحسن وقتادة. قيل ذلك دلالة على أن من قدر على إنشاء الإنسان من هذا الماء الخارج من داخل هذا الداخل المنيع قادر على إعادته من أجزاء مبثوثة فى قبور مدثورة، قيل وخص مابين الصلب والترائب مع أن مستقر المنى عروق يلتف بعضها ببعض عند المبيضين تسمى أوعية المنى وأن معظم أجزائه إنما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل من جميع أجزاء البدن فيأخذ من كل عضو طبيعته وخاصته مستعدا لأن يتولد منه مثل تلك الأعضاء كما ذهب اليه بعض الأطباء لأن أعظم الأعضاء معونة فى توليد المني الدماغ وخليفته النخاع فى الصلب وشعب نازلة إلى مقدم البدن وهى التريبة فلذا اختصا بالذكر وإن كان مقر أجزاء منى المرأة مبيضها ومقر أجزاء منى الرجل خصيته ، ولو جعل ما بين الصلب والترائب كناية عن البدن كله لم يبعد وكأن تخصيصها بالذكر لما أنهما كالوعاء للقلب الذى هو كالمضغة العظمى فيه وإلا فالنخاع والقوى الدماغية والقلبية والكبدية كلها تتعاون فى إبراز ذلك الفضل على ماهو عليه قابلا لأن يصير مبدأ الشخص ولذا قيل إن تصحيح الأعضاء الرئيسية موجب لقوة الجماع لأن شدة الإحساس باللذة من صحة الدماغ ؛ وقوة الانتشار من صحة القلب وكثرة الماء فى الكبد ، والاعتدال من صحة الكلى، وخروج المنى من الأصلاب والترائب . أو من بينها وبين الترائب لاينفى خروجه من غيرها ، وقد علمت وجه تخصيصها بالذكر . لأن خروج السائل من العظام الصلبة معجز وخصوصا إذا نظر لما اشتمل عليه من الحيوانات المنوية ، والبويضات الجرثومية فهو كقوله تعالى : (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار . وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء) وكقوله تعالى : (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) وكقوله (بدأ خلق الإنسان من طين) أى أن الذى بدأ خلق هذا الهيكل المخصوص الذي هو خلاصة عالم المواد والصور الجامع لعوالم الملك والملكوت من هذا الماء قادر على إعادته فالمعجزة فى الآية من مكانين : خلق الإنسان أى هذا العالم الجامع من ماء ضئيل، وخروج هذا الماء وما اشتمل عليه من أسرار التكوين من بين الصلب والترائب . وبالجملة فعبارة الكتاب مختصرة جامعة . وكلام

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الله المجيد لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد اه من رسالته المسماة بالمطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونية وهى رسالة نفيسة جدا . حفظ الله تعالى مؤلفها وجزاه خير الجزاء . (إنه) تعالى (على رجعه) أى رجع الإنسان و إعادته بعد الموت للحساب ولو تفرقت أجزاؤه أو أكلته السباع أو حرق وسحق وذرى فى الهواء (لقادر) أى بين القدرة تامها (يوم تبلى السرائر) ليس متعلقا بقادر لإيهام اختصاص قدرته تعالى بوقت دون وقت مع أنه قادر فى جميع الأوقات . و إنما هو متعلق برجعه المذكور أو بمحذوف يدل عليه أى يرجعه تعالى و يعيده يوم تبلى السرائر . وهو اليوم الموعود ، وتأخير الإعادة إلى هذا اليوم لا لعجزه سبحانه عن الإعادة قبل ذلك بل لما سبق فى علمه القديم من التوقيت بهذا الوقت إذ الأشياء مرهونة بأوقاتها لايستأخر شىء منها عن وقته ساعة ولا يستقدم . وما من كائن إلا وقدر الله تعالى زمن وجوده والكيفية التى يوجد عليها . ومن كلام العارف ابن عطاء الله . ماترك من الجهل شيئا من أراد أن يظهر فى الوقت غير ماأراده الله تعالى فيه . أى لأن فى ذلك تحكما على إرادة الحق عز وجل و إساءة أدب مع حضرته العلية مع كونه لاينفع ولا يفيد فإنه لو اجتمعت الإنس والجن والملائكة وسائر المخلوقات على أن يقدموا شيئاً أو يؤخروه عن وقته المحدود له فى علمه تعالى لايستطيعون ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . فإذا قضى الله تعالى أن الشمس مثلا تطلع فى وقت مخصوص فمن ذا الذى يستطيع أن يطلعها قبل هذا الوقت بدقيقة أو يؤخرها عنه دقيقة ؟ فاعتبر أيها المؤمن بذلك ولا تستعجل شيئا قبل أوانه ولك فى أمر الشفاعة العظمى يوم القيامة تبصرة وتذكرة ، ألا ترى أنه قبل مجىء الوقت المعلوم لفتح بابها كيف يحار الخلائق و يضطربون فلا يهتدون سبيلا إليها فإنهم يأتون آدم صلوات الله عليه فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابنى إبراهيم خليل الله فيأتون إبراهيم عليه السلام فيعتذر عنها ثم موسى ثم عيسى عليهما السلام كذلك حتى إذا جاء الوقت وأراد الله تعالى فصل القضاء بين الخلائق هداهم إلى صاحبها والفاتح لبابها فيأتون محمدا ﷺ فيقوم فيؤذن له كما ورد فى الحديث .

ومعنى تبلى السرائر أى تختبر وتكشف القلوب و يتصفح ما أسر فيها من العقائد والنيات وعلى هذا فالسرائر هى القلوب ، ويحتمل أنها التكاليف قاطبة فإنها سرائر بين العباد وربهم ومعنى ابتلائها تفحصها والتمييز بين ماطاب منها وما خبث وما صلح وما فسد . ليجزى الذين أساءوا بما عملوا و يجزى الذين أحسنوا بالحسنى . وأخرج بن المنذر عن عطاء و يحيى بن أبى كثير فى تفسير السرائر هنا أنها الصوم والصلاة والغسل من الجنابة وأخرج البيهقى عن أبى الدرداء قال قال رسول الله ﷺ (ضمن الله تعالى خلقه أربعا الصلاة . والزكاة . وصوم رمضان . والغسل من الجنابة : وهى السرائر التى قال الله تعالى يوم تبلى السرائر) وليس مراده عليه الصلاة

والسلام حصر السرائر فى هذه الأربعة بل بيان أعظمها وأهمها وما هو كالأصل والأساس لغيره ، وقد سمع الحسن من ينشد قول الشاعر :

سيبقى لها فى مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر

فقال : ما أغفله عما فى (والسماء والطارق) وكأنه رضى الله عنه حمل البقاء فى هذا البيت على عدم التعرف أصلا أى أنه سيبقى لها فى مضمر القلب سريرة ود لاتتعرف ولا يطلع عليها فى هذا اليوم الذى تكشف فيه جميع السرائر وتظهر سائر المخبآت . ويحتمل أن يكون الشاعر أراد أن يبين أنه صادق المحبة ثابت الود لايسلو محبته ولا يترك مودته فى الحياة و بعد الممات حتى يوم تبلى السرائر يوم يشتغل كل امرىء بنفسه ويفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه على عادة الشعراء من المبالغة والإغراق (فما له) أى فما لهذا الإنسان المكذب فى هذا اليوم الذى تبلى فيه السرائر وتنكشف الضمائر وتظهر القبائح والفضائح ويقف الناس بين يدى مولاهم فيوقفهم على أعمالهم ويحاسبهم على الفتيل والقطمير . ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ليس لهذا الإنسان فى ذلك اليوم العصيب (من قوة) شخصية يدفع بها عن نفسه ويمتنع عن عذاب ربه (ولا ناصر) من غيره ينصره ويحتمى فيه إذ لايجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا . يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، وهذا لاينافى وجود الشفاعة يوم القيامة من النبى ﷺ وغيره من الأنبياء والعلماء لأنهم لايشفعون إلا لمن أذن له الرحمن وقال صوابا والكافر لم يقل صوابا ولم يمت على الشهادتين حتى يأذن الله تعالى فى شفاعة أحدله .

ولما كان نزول المطر من السماء إلى الأرض شبيها بنزول الماء من صلب الرجل إلى رحم المرأة وكان خروج النبات من جوف الأرض محاكيا لخروج الجنين من بطن أمه ، وتنقله فى أطواره المختلفة إلى أن يكون حصيدا فوق الأرض ثم هشيما تذروه الرياح كتنقل الولد من طفل إلى صبى إلى غلام إلى كهل إلى شيخ إلى أن تحصده المنية بمنجلها . فضلا عما بينهما سوى ذلك من التشابه المحكم الوثيق إذ كما يختلف عمر النبات بعد خروجه من الأرض طولا وقصرا فتارة يذبل و يموت صغيرا . وتارة يبقى إلى أن ينمو ويترعرع فتقصفه الريح أو تأكله الأنعام وتارة يبقى إلى أن يستوى ويتم نضجه فتقتلعه الأيدى أو تحصده المناجل كذلك الإنسان تارة يموت عقب ولادته وتارة يموت وهو ابن سنة أو سنتين أو ابن عشر أو عشرين ومهما امتد أجله وطال عمره فلا بد أن يموت ويصير نسيا منسيا . ومن لم يمت بالسيف مات بغيره . وأيضا فإن خروج النبات من الأرض بعد مكثه ببطنها مدة من الزمن يشبه خروج الموتى من قبورهم يوم القيامة بعد أن لبثوا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيها ماشاء الله أن يلبثوا — إلى غير ذلك من وجوه الشبه المختلفة بين هذين الكائنين العجيبين لفت الحق تعالى نظر العباد إلى ذلك فقال (والسماء ذات الرجع)والسماء هى المُظِلةالمعروفة والرجعهو المطرعلىرأي الجمهور ومعنى كون السماء ذات المطر أنه نازل من جهتها إما لكونه من بحر تحت العرش كما قيل ولا بعد فيه . أو لكون السحاب يحمله من بحار الأرض ثم ينزل من جهتها كما هو رأى علماء الطبيعة، وعليه قول بعضهم:

كالبحر يمطره السحاب وماله مَنٌّ عليه لأنه من مائه

و بعضهم يجعل المطر على نوعين . منه ماهو نازل من السماء حقيقة ، ومنه ماحمله السحاب من بحار الأرض . وعن ابن عباس ومجاهد تفسير السماء هنا بالسحاب والرجع بالمطر أيضاً وقيل : السماء هى المعروفة ، والرجع الشمس والقمر والكواكب ترجع فيها من حال إلى حال ومن منزلة إلىمنزلة وقيل الرجع : الملائكة عليهم السلام لرجعهم بأعمال العباد (والأرض ذات الصدع) أى ماتتصدع عنه وهو النبات وأصل الصدع الشق ، سمى به النبات مجازاً وقيل الصدع الحرث ، وقيل الطريق التى تصدعها المشاة . وعلى كل فالمقصود كما بينا لفت الأنظار إلى هذه المصنوعات وما تضمنته من الآيات والعبر (و فى الأرض آيات للموقنين ، و فى أنفسكم أفلا تبصرون)

(إنه) أى القرآن المشتمل على ذكر المبدأ والمعاد (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل لاريب فيه هدى للمتقين ، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وهوجدكله « وما هو بالهزل» أى ليس فيه شائبة من الهزل ، كيف وهو كلام رب العالمين وخطاب أحكم الحاكمين نزل به الروح الأمين على قلب أشرف المرسلين . وأفضل الخلائق أجمعين قد أعجز البلغاء وأعيا الفصحاء كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

ردت بلاغتها دعوى معارضها رد الغيور يد الجانى عن الحرم

وعن على كرم الله تعالى وجهه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنها ستكون فتنة .قلت:فما المخرج منها يارسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم، وخبر مابعدكم،وحكم مابينكم، هو الفصل ليس بالهزل،من تركه من جبار قصمه الله،ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله،وهو حبل الله المتين،وهوالذكر الحكيم،وهو الصراط المستقيم، هو الذى لاتزيغ فيه الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق عن الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن لما سمعته عن أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد . من قال به صدق ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ومن هدى به هدى إلى صراط مستقيم) فالواجب أن يكون هذا الكتاب العزيز مهيباً فى الصدور معظما فى القلوب لايمسه إلاالمطهرون ، لايتلوه قارئه إلا وهو نظيف الظاهر والباطن لايقول فيه برأيه ولا يشترى به ثمناً قليلا ، ولا يعرضه للاهانة والاستهزاء ولا يقصر فى أوامره

ونواهيه ولا يتردد فى شىء من وعده ووعيده ، ولـكن من الأسف قد نبذه كثير من المسلمين الآن وراء ظهورهم لايهتمون بحفظه ، ولا يعظمون حامله ، ولا يستمعون إليه ، يقرءونه وهم فى خوضهم يلعبون وبحديث دنياهم مشغولون فإنا لله وإنا إليه راجعون (إنهم) أى كفار مكة (يكيدون) وللقرآن ولمحمد ﷺ الذى جاء به (كيداً) عظيما ليطفئوا نوره ويبطلوا دعوته وذلك بإلقاء الشبه فيه والصد عن سبيله ودعوى أنه أساطير الأولين اكتتبها محمد ﷺ فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ، وتخصيص كفار مكة إنما هو بالنظر لسبب النزول وإلا فأعقابهم من الزنادقة والملحدين باقون إلى يوم القيامة .

وكم كادوا للقرآن وعابوه وسخروا منـه وبغضوه إلى النفوس وادعوا أنه مختلق مفترى ، وكم ألقوا فى ذلك من المحاضرات ، وكتبوا من المقالات فى غير خجل ولا استحياء ، تشبثا بحرية الفكر والرأى قاتلهم الله أنى يؤفـكون (وأكيد كيدا) أى أقابلهم بكيد أشد من كيدهم لا يطلع عليه أحد ، ولايستطيعون رده أو أعاملهم بنقيض قصدهم ، فأعلى كلمتـه وأنشر نوره وذكره فى الآفاق ، أو أملى لهم ليزدادوا إثمـا وأستدرجهم من حيث لا يعلمون . كلما فعلوا معصية جددت لهم نعمة ، وكلما تمادوا فى القبيح أخرت العقوبة عنهم . فلا ينتقلون من معصية إلا إلى أخرى . حتى إذا جاء وقت الإهلاك أخذتهم وانتقمت منهم (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ، إن أخذه أليم شديد) . (فمهل) يامحمد (الـكافرين) لا تكترث بهم ، ولا تشغل بالك بأمرهم ، وانتظر أخذهم بالعقوبة والانتقام ، فقد قرب الوقت كما قال : (أمهلهم رويدا) أى أمهلهم إمهالا قريبا . وليس هذا فى الحقيقة أمرا بتركهم والـكف عنهم حتى ينسخ بآية السيف والأمر بالقتال . وإنما هو تسلية وتطمين للنبى ﷺ وللمؤمنين والله أعلم ؟

عبد الجواد محمد الدومى

تفسير القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) صدق الله العظيم

الجهاد وأثره فى حياة الفرد والمجموع

فضيلة الأستاذ العارف بالله
الشيخ عبد الجواد محمد الدومى

طلب إلينا بعض الأعزاء بالحاح شديد بعد أن انقطعنا عن الكتابة ملياً — أن نقول فى هذه الآية الكريمة كلمة موجزة ننشرها على صفحات « مجلة الاسلام » الغراء فتلبية لهذا الطلب الكريم نكتب الكلمة الآتية ومن الله تعالى نستمد المعونة والتوفيق فنقول : —

خلق الله تعالى الانسان وأودع فيه قوتين مختلفتين إحداهما نزاعة إلى الشر أمارة بالسوء . والأخرى على عكسها نزاعة إلى الخير ميالة للعدل محبة للقرب من الله تعالى تواقة للوصول إليه . وقد اقتضت حكمته عز وجل — رحمة بالانسان وإرادة لسعادته وكماله — أن يشرفه بالتكليف وهو عبارة عن جهاد ونضال بين هاتين القوتين المتخالفتين فى المنازع والأغراض . جهاد لانهاية له إلا بانتهاء الحياة وافتراق البدن والروح

فالانسان ماوجد فى هذه الحياة الدنيا إلا للمجاهدة والكفاح

فى ميادينها الواسعة النطاق المترامية الأطراف . وعلى قدر جهاده ومبلغ كفاحه تكون منزلته من الله تعالى ومقامه عنده ويكون ترقيه فى مقامات الرفعة والكمال . ومن كلمات الصوفية فى هذا المقام : من زين ظاهره بالمجاهدة، زين الله باطنه بالمشاهدة . ومن كانت بدايته محرقة ، كانت نهايته مشرقة ، يريدون أن كمال المعرفة وإشراق القلب بأنوار اليقين لا يكون مع التكاسل والتخاذل بل لا بد من المجاهدة والمكابدة وإماتة صفات النفس المذمومة واستبدال الأخلاق الفاضلة المحمودة بها .

وليس يعجز الله تعالى أن يمنح الكمال بلا مشقة، ويكرم عبده بدون جهاد ولا تكليف . ولكن هكذا سبق في علمه القديم وتقديره الحكيم أن لكل شيء سبباً ، فالفوائد فى طى الشدائد والعطايا على متن البلايا ، والله تعالى أحكم الحاكمين . ناط السعادة بالجد والمثوبة بالعمل الصالح إظهاراً لحكمته وإشعاراً بجلال ربوبيته « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور » .

أنواع الجهاد

الجهاد لا يكون إلا بين خصمين متنازعين وعدوين متشاحنين وأنواعه ثلاثة : جهاد النفس والشيطان . وجهاد إخواناً فى الدين المتهاونين فى أحكامه وتعاليمه . وجهاد أعداء الدين المخالفين لنا في العقيدة .

جهاد النفس

أما جهاد النفس والشيطان فهو الجهاد الأكبر لأنه جهاد فى عدو باطن يراك ولا تراه شديد المكر عظيم الحيلة ملازم لك بالليل والنهار فى النوم واليقظة والحركة والسكون يجرى منك مجرى الدم في العروق لا يفتر ولا ينقطع . ومرجع هذا الجهاد إلى تخلية النفس من أوصافها الذميمة كالحقد والحسد والكبر والعجب والرياء والبخل والطمع والحرص وما إلى ذلك من الأمراض الباطنية المهلكة . وتحليتها بالأخلاق الفاضلة الكريمة ، كأن يكون حليما متواضعاً نزيهاً عفيفاً مخلصاً لله تعالى فى السر والعلن عادلا فى الرضا والغضب مقتصداً فى الغنى والفقر صابراً عند الابتلاء شاكراً فى العطاء مراقباً أنفاسه وسائر حركاته، وأعماله لا تصدر منه حركة ولا عمل إلا بنية صالحة ولمقصد شريف .

جهاد إخواننا فى الدين

والنوع الثانى من أنواع الجهاد هو جهادنا لاخواننا فى الدين المشتركين معنا فى الانتماء إليه . ولكن فتنتهم الدنيا بمناظرها الجذابة ومظاهرها الخلابة حتى أصبحوا أسارى بأيدى الشهوات سكارى بمحبة اللذات تساهلوا في تطبيق أحكام الدين والعمل بأوامره ونواهيه من غير جحود ولا إنكار . وهذا الضرب من الجهاد هو عبارة عن التصدى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وقد اشتد مسيس الحاجة إليه فى الآونة الحاضرة لما انتشر فينا من القبائح والزور ولما فشا بيننا من التفريط والاهمال . مع أنه أساس حياة الأمة وبدونه لا تتوفر لها سعادة ولا هناء . كما صرحت به الأحاديث الشريفة كقوله ﷺ : من رأى منكم منكراً فليغيره

بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان : وأخرج البخارى فى صحيحه عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا. فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذ واعلى أيديهم نجوا ونجوا جميعاً : والقائم فى حدود الله معناه المنكر لها القائم فى دفعها وإزالتها . والمراد بالحدود مانهى الله عنه . ومعنى استهموا اقترعوا . وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : يأيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية (يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم) وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه : أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي ، وعن حذيفة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم : رواه أبو داود

وفى هذه الأحاديث النبوية الشريفة تصريح جلى بأن سلامة الدولة وصيانتها من العبث والفوضى والتدهور والانحطاط تتوقف على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأنه لا يعفينا من المسئولية توهم البعض أنهم يسعون فى الخير والمصلحة ولا يقصدون الافساد والضرر ما دامت إصلاحاتهم لا تتفق مع الدين ولا تقوم على أساسه المتين ، وكثيراً ما يكون الشخص مريضاً وهو لايشعر بأنه مريض ، وكم من مستحسن أمرا لاحسن فيه كما قال القائل ..

يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسناً ماليس بالحسن

فمهمة الوعاظ والمرشدين الآن من أشق المهمات لأن عليهم أولا أن يقنعوا هؤلاء الخارجين على الدين بأنهم خارجون عليه ، وأن ماهم عليه وما يدعون إليه ليس من الدين فى شىء . وعليهم ثانيا أن يرشدوهم إلى العلاج النافع والدواء الناجع للتخلص من هذه الأوحال التى تورطوا فيها وانغمسوا فى حمأتها مع التلطف واستعمال الحكمة والمحافظة على النظام

جهاد مخالفينا فى الدين

وأما جهاد مخالفينا فى العقيدة والدين فحصله القيام بالدعاية الدينية المنظمة والمجادلة بالتى هى أحسن الخالية من الشدة والعنف ، وعندنا أن هذا النوع من الجهاد متى نظم وأحكمت وسائله فانه يأتى بأحسن النتائج وأطيب الثمرات ، وقد رسم لنا رسول الله ﷺ خطته بما قام به فى أخريات حياته المباركة من إرسال البعوث والرسائل إلى القبائل والنواحى لنشر الدين وتبليغ أحكامه وآدابه ، وكذلك فعل خلفاؤه الراشدون فعلينا بسنته وسنتهم ولنعض عليها بالنواجذ فانها سبيل السعادة وطريق الفلاح .

هذا والجهاد فى الآية الكريمة التى معنا شامل لهذه الثلاثة ، والمعنى (والذين جاهدوا) أى جاهدوا النفس والهوى والشيطان ، وجاهدوا كل خارج على الدين أصوله وفروعه على الطريقة التى سار عليها رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون وهى طريقة واضحة جلية لا لبس فيها ولا إبهام ، سداها ولحمتها الاخلاص لله تعالى والتفانى فى محبته والاعتماد عليه مع الثبات على الحق وعدم المساومة فيه أو الانخداع عنه بالحيل الموهة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والشقاشق المزخرفة ، كما بين الحق تعالى ذلك بقوله : (فينا) أي فى شأننا ومن أجلنا وابتغاء مرضاتنا، وعلى الخطة التى رسمها لهم نبينا صلوات الله وسلامه عليه ، تلك الخطة التى لا سمعة فيها ولا رياء ، ولا طلب للشهرة وإذاعة الصيت ، ولاهوادة ولاجبن ، ولا غير ذلك من العلل والآفات التى تشوب العمل وتجعل الجهاد عقيما (لنهدينهم سبلنا) أى لنزيدنهم هداية وتوفيقا إلى الخير وعمل الطاعات ، فان مراتب الهداية والتوفيق لانهاية لها ، ومامن كمال إلا وعند الله أكمل منه ، لهذا كلفنا الله تعالى بطلب الهداية منه فى اليوم والليلة جملة مرات (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

ويقرب من هذا أو هو عينه قول من قال : لنهدينهم سبل محبتنا والوصول إلينا ، فانه لاسبيل للمحبة والوصول إلا طاعة الله تعالى وذكره ، أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قال : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى أعطيته ، ولئن استعاذنى لأعيذنه .

والوعد فى الآية الكريمة والحديث الشريف وعد مطلق غير مقيد بزمان ولا مكان ، فكل من جاهد فى الله تعالى واستقام على طريقته وأخلص له عمله وتقرب إليه بما يحبه منحه الوصول وأكرمه بالمحبة والقبول فما حرم من حرم إلا من عدم التوجه وقلة الصدق وسوء الأدب ، وإلا فحاشا للكريم المنان أن يتوجه إليه صادق فيرده ، وجل ربنا أن يعامله العبد نقداً فيجازيه نسيئة كما قال العارف ابن عطاء الله فى حكمه .

وقيل : معنى (لنهدينهم سبلنا) لندخلنهم جناتنا يوم القيامة كقوله تعالى : (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) أى الجنة ، وعلى كل ففى الآية حث شديد على مجانبة الكسل وترك التوانى والتشمير فى طاعة الله تعالى ، فالعاقل من اغتنم حياته ودان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق العاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى الأمانى (وإن الله) تعالى واجب الوجود وخالق العالم كله القابض على نواصى العباد المتصرف فى كل شىء، من له جنود السموات والأرض ولا يعلم جنوده إلا هو ، من لو أراد نفع إنسان نفعه ولو على يد عدوه ، ولو أراد ضره ضره ولو على يد صديقه . هذا الاله القادر الحكيم (لمع المحسنين) معية خاصة ، وذلك لأن الله تعالى مع الكل بعلمه وإحاطته وقدرته وتصرفه ، ومع الخواص المحسنين بنصره ومعونته وتأييده ، والمحسنون يحتمل أن يكون المراد بهم الذين جاهدوا فى الله تعالى وذكروا بالاسم الظاهر بدل الضمير مدحا لهم وثناء عليهم ، ولبيان سبب هدايتهم ، ويحتمل أن يكون المراد بهم أهل مقام الاحسان الذى بينه رسول الله ﷺ فى حديث جبريل بقوله حين سأله عن الاحسان : الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك : ومن كان من أهل هذا المقام كان الله تعالى معه بالمعونة والحفظ إن دعاه أجابه وإن أقسم عليه أبره وإن سأله أعطاه ومن كان بهذه المثابة لاتقع منه المعصية إلا على سبيل الهفوة والندور كما يشير له حديث : (لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن إلخ) أي مؤمن باطلاع الله تعالى موقن بأنه يسمعه ويراه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فظهر أن للجهاد في حياة الفرد والمجموع وصيانة الأرواح والأبدان آثاراً طيبة وثمرات كريمة ، ولا يمكن لأمة من الأمم أوهيئة من الهيئات أوفرد من الأفراد أن يظفر بالعزة والكرامة والحياة الطيبة والسعادة في الدنيا والآخرة إلا بالجهاد . ومنذ تركته الأمم الاسلامية واستلذت الراحة وأنفت من العمل وانغمست في الشهوات واللذات وهي ترسف في قيود المذلة وترزح تحت نير الاستعباد . فهل آن لهم أن يستفيقوا من غفلتهم وينهضوا من كبوتهم ويخرجوا إلى ميادين الجهاد والعمل النافع لملتهم ولأوطانهم صفوفا متساندين وإخوانا متحابين لا تنافر بينهم ولا تضاد ولا أضغان في قلوبهم ولا أحقاد جاعلين رضا الله تعالى نصب أعينهم وحقه مقدما على كل شيء جازمين بأن السعادة والخير فيما يحبه ويرضاه والشقاوة والضير فيما يكرهه وينهى عنه معتقدين بأن الله تعالى مستخلفهم في هذه الحياة الدنيا كما استخلف الذين من قبلهم ليلوهم أيهم أحسن عملا وينظر كيف يعملون . وفقنا الله تعالى لما فيه الخير والسداد ؟

• عبد الجواد محمد الدومى : إمام مسجد الزينى بالسبتية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تفسير القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * صدق الله العظيم

المقصود من هذه القصة بيان سعة قدرة الله تعالى وعظيم لطفه وتدبيره ، وأنه لا يعجزه أن يحيي الموتى ويعيدهم إلى ما كانوا عليه من الحركة والحس ، مع تقرير ولايته تعالى للمؤمنين ، وإظهار عنايته بهم كما أن القصة التي قبلها كانت لتقرير ولاية الطاغوت للكافرين ، وسيأتي بيان ما يؤخذ منها في آخر الموضوع إن شاء الله تعالى .

والكاف في قوله عز وجل (أو كالذي مر) قيل إنها زائدة ، والتقدير : ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم أو الذي مر على قرية إلخ . وقيل إنها إسم بمعنى مثل : أي ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ، أو ألم تر مثل الذي مر على قرية : والقرية هي المصر الجامع كما في القاموس . وفي شرحه نقلا عن كفاية المتحفظ : كل مكان اتصلت به الأبنية واتخذ قراراً وتقع على المدن وغيرها ، ومعنى خاوية ساقطة منهدمة وعروشها

سقوفها ، ولم يتسنه : لم يتغير عن حالته التى كان عليها ، وقيل معناه لم تمر عليه السنون التى مرت عليه . أى أنه بحاله كما كان كأنه لم يلبث مائة سنة . وننشزها : نحركها ونرفع بعضها إلى بعض حتى نجعلها متضامة ملتئمة . وقرىء ننشرها بالراء المهملة مع ضم نون المضارعة وكسر الشين المعجمة أو فتح النون وضم الشين أى نحييها ونبعثها .

ولم يبين الحق سبحانه وتعالى ماهى القرية الواردة فى هذه القصة ولا من هو المار عليها وكيف حاله هل كان كافراً أو مؤمناً ؟ وهل هو الخضر أو العزير عليهما السلام أو غيرهما ؟ لأن المقصود من القصة وهو العبرة والاتعاظ لا يتوقف على تعيين ذلك . وقد اختلف فيه العلماء . فأما القرية فقيل إنها بيت المقدس وهذا هو الأشهر والأصح ، وقيل هى التى خرج منها الألوف ، وهى قرية قرب واسط تسمى «داوردان» خرج منها أهلها فراراً من طاعون كان بها أو هربا من الجهاد الذى دعاهم نبيهم إليه خوفا من الموت فعاقبهم الله تعالى على ذلك بأن أماتهم ثم أحياهم ، كما قال جل شأنه « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم » .

وأما المار . فقيل كان كافراً بربه شاكا فى البعث ، وقيل بل كان مؤمناً بالبعث عارفا بالله تعالى حق المعرفة . وقد انتصر كل من الفريقين لرأيه بأدلة نقتصر منها على مايأتى :

أدلة القائلين بكفره

(١) أن الله حكى عنه أنه قال « أنى يحيى هذه الله بعد موتها » وهذا يدل على أنه يستبعد الاحياء بعد الموت على الله تعالى وهو كفر .

(٢) قال الله تعالى فى حقه « فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير » ومعنى هذا أنه قبل أن يتبين له ماتبين لم يكن عالما بأن الله على كل شىء قدير ، ولا شك أن ذلك كفر صريح .

(٣) انتظام قصته مع قصة نمروذ فى سلك واحد حيث سيق الكلام للتعجيب من حالهما والتشنيع عليهما يدل على اتحاد عقيدتهما واتفاق ملتهما وتشابه قلوبهما فى الكفر .

أدلة القائلين بإيمانه

(١) دل مجموع القصة على أن الله تعالى أكرمه غاية الاكرام ، واعتنى بشأنه عناية كبرى . حيث أطلعه على عجائب صنعه ، وبدائع قدرته فى نفسه وفى طعامه وشرابه وفى حماره كما سيأتى . وحيث شرفه بخطابه الكريم (قال كم لبثت) (قال بل لبثت مائة عام) (ولنجعلك آية للناس) وظاهر أن الكافر لايليق لكل هذا الاكرام ولا لبعضه .

(٢) ماوقع منه من الاحتياط والتحرى فى قوله « لبثت يوما أو بعض يوم » حيث ابتعد عن المجازفة فى القول ، ولم يعبر عن جل اليوم باليوم حذرا من إيهام أن المراد جملة اليوم ، ومعلوم أن الاحتياط شعار المؤمنين العارفين بربهم الحريصين على دينهم لا الكافرين فانهم عن ربهم غافلون ولهواهم متبعون وكان أمرهم فرطا .

(٣) ماروى فى أسباب النزول عن سيدنا على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن سلام

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وغيرهم من أعلام الهدى وأئمة الدين من أن المار هو العزير بن شرخيا عليه السلام ، ومعلوم أن مثل هذا لا يقال من قبل الرأى فلا بد فيه من التوقيف والسماع من النبى ﷺ .

هذه خلاصة أدلة الفريقين والمتأمل فيها يرى أن أدلة القائلين بإيمانه سليمة قوية بخلاف أدلة القائلين بكفره فانها ضعيفة غير سالمة من المعارضة والنقض أما الأول فلأنه يجوز أن يكون استبعاد الذى صدر منه بقوله (أنى يحيى هذه الله بعد موتها) منصباً على خصوص هذه القرية ومنشؤه اضطراد العادة بأن مثل هذه القرية الخاوية على عروشها قلما يصيرها الله تعالى معمورة ، فهو استبعاد عادى لا عقلى وخاص بالقرية المذكورة وحدها وإلا لما كان لتخصيصها بقوله (هذه) فائدة على أنه يجوز أن تكون مقالته هذه استعظاماً لقدرة الله تعالى على حد قول سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام كما حكاه الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز (قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر) لا استبعاد كما فهم المخالف — وأما الثانى فلأن الذى تبين له بعد المشاهدة ورؤيه ما رأى علم آخر هو المسمى بعين اليقين وهو العلم الناشىء عن المشاهدة والعيان ، ومن لوازمه زيادة الطمأنينة فى القلب لا العلم الاستدلالى الذى هو شرط فى أصل الايمان وحاصل عند كل مؤمن — وأما الثالث فانه معارض بما بين قصته وقصه ابراهيم عليه الصلاة والسلام المذكورة بعد من التناسب والشبه القوى فان كلا منهما طلب معاينة الأحياء ليزداد معرفة واطمئناناً .

فتحصل أن الظاهر بل المتعين أن هذا المار كان مؤمناً بل كان من المقربين والأكثرون على أنه العزير ابن شرخيا عليه السلام كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

قال الله عز وجل (أو كالذى مر) أى أو رأيت مثل الذى مر على قرية ، وهى بيت المقدس لما خربها بختنصر وكان كافرا ملك الأرض « وهى خاوية » أى متهدمة ساقطة « على عروشها » أى سقوفها بمعنى أن سقوفها تهدمت وسقطت على الأرض ثم سقطت عليها الحيطان بعد ذلك ، روى أن بنى إسرائيل لما طغوا وأفسدوا فى الأرض وخالفوا أمر ربهم سلط الله تعالى عليهم بختنصر المذكور وهو ملك كافر متجبر فتوجه إليهم وخرب بيت المقدس ، وقتل منهم من قتل ، وأسر من أسر ، وكان من جملة من أسرهم العزير عليه السلام فبقى تحت أسره مدة ثم من الله عليه بالخلاص منه فمر على هذه القرية ودخل المسجد وربط حماره ولم يره أحد فقال فى نفسه متعجباً مستبعداً بحسب العادة أن تعود هذه القرية إلى حالتها الأولى « أنى يحيى هذه الله بعد موتها » ثم إنه أكل من أشجار كانت بها ثم نام ، فأماته الله فى منامه وأمات حماره أيضا ، ولما تمت عليه مائة سنة أحياه الله تعالى وأحيا حماره كذلك فركبه حتى أتى محلته فأنكره الناس وأنكرهم وأنكر منازلهم ، فانطلق على وهم منهم — أى شك فى أمرهم — حتى أتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت أمة له كان قد خرج عزير وهى بنت عشرين سنة ، فقال لها ياهذه ! أهذا منزل عزير ؟ فقالت نعم وبكت وقالت ما رأيت أحداً منذ كذا وكذا سنة يذكر عزيرا وقد نسيه الناس فقال : إنى أنا عزير قالت سبحان الله فان عزيراً قد فقدناه منذ مائة سنة ، فلم

يسمع له بذكر ، قال فأنى أنا عزير كان الله أماتنى مائة سنة ثم بعثنى ، قالت فان عزيراً كان رجلا مستجاب الدعوة يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافيـــة والشفاء ، فادع الله أن يرد على بصرى حتى أراك فان كنت عزيراً عرفتك ، فدعا ربه ومسح على عينيهـا فصحتا وأخذ بيدها فقال قومى باذن الله تعالى فأطلق الله تعالى رجليها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال ، فنظرت فقالت إنك عزير فانطلقت إلى محلة بنى إسرائيل وأنديتهم ومجالسهم وابن العزير شيخ ابن مائة سنة وثمان عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فى المجلس فنادتهم فقالت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعا لى ربه فرد على بصرى وأطلق رجلى ، وزعم أن الله كان أماته مائة سنة ثم بعثه فنهض الناس فأقبلوا عليه فنظروا إليه فقال ابنه كانت لأبى شامة سوداء بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزير ، فقالت بنو إسرائيل فانه لم يكن فينا أحد حفظ التوراة غير عزير ، وقد حرق بختنصر التوراة ولم يبق منها شىء إلا ما حفظت الرجال فاكتبها لنا ، وكان أبوه قد دفن نسخة من التوراة أيام بختنصر فى موضع لم يعرفه أحـد غير عزير ، فانطلق بهم إلى ذلك الموضع فحفره فاستخرج التوراة ، وكان قد عفن الورق ودرس الكتاب فجلس فى ظل شجرة وبنو إسرائيل حوله فقرأها عليهم عن ظهر قلب من غير أن يخرم منها حرفا ، وقيل كان رجل من المسبيين قد ورد بيت المقدس بعد مهلك بختنصر فقال حدثنى أبى عن جدى أنه دفن التوراة يوم سبينا فى خابية فى كرم فان أريتمونى كرم جدى أخرجتها لكم ، فذهبوا إلى كرم جده فوجدوها ، فعارضوها بما أملى عليهم عزير فما اختلفا فى حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله .

(قال) هذا المار حين رأى تلك القرية خاوية على عروشها ، أى قال ذلك فى نفسه أو قاله بلسانه تشوقا إلى عمارتها مع استبعاد ذلك بحسب العادة الجارية (أنى يحيي هذه الله) أى كيف ومن أين يحيي الله تعالى هذه القرية أى يعمرها بأهلها ويعيد إليها نضرتها وبهجتها (بعد موتها) بعد خرابها وتهدم بنيانها وسقوط عروشها ، فالمراد بالاحياء بعد الموت التعمير بعد الخراب (فأماته الله مائة عام) أى أماته إماتة حقيقية بأن أخرج روحه من جسده ، وأفقده الحركة والحس ، قيل : إنه لما مر عليه سبعون سنة وهو ميت وقد حفظه الله تعالى من السباع والطيور وصانه عن العيون أن تراه ـ أى مع كونه ظاهراً على الأرض لم يتغير ـ أرسل الله تعالى ملكا من الملائكة إلى ملك من ملوك فارس يخبره أن الله تعالى يأمره بعمارة بيت المقدس حتى تعود أحسن مما كانت ، فسار إليها فى عدد كبير من جنوده وأعوانه فأخذوا يعمرونها ، ونجى الله تعالى من بقى من بنى إسرائيل بعد أن أهلك بختنصر وردهم إلى بيت المقدس فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى صاروا أحسن مما كانوا عليه ، فعند ذلك بعث الله عزيراً كما قال : (ثم بعثه) أحياه وأعاده إلى حالته الأولى من الحركة والحس والادراك والاستعداد للنظر والاستدلال ، وهذا من بديع صنعته جل وعلا ، وهو أغرب مما وقع لأهل الكهف لأنهم لم يموتوا وإنما ضرب الله تعالى على آذانهم أى أنامهم نوما ثقيلا لا يشعرون معه بشىء ولا يسمعون الأصوات (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشداً ، فضربنا على آذانهم

فى الكهف سنين عدداً ، ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً) الآيات ، وإن كانت الممكنات كلها بالنسبة لقدرته تعالى سواء ، لايعجزه شىء ولايستعصى عليه شىء (قال كم لبثت) أى قال الله تعالى له بعد أن أحياه ، وهذا يفيد أنه نبى من الأنبياء ، وقيل : القائل له ذلك هاتف من الهواتف ، وهى غير مختصة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، بل كثيراً ماتقع لغيرهم من الصالحين كالالهامات القلبية ، وقيل : القائل نبى كان موجوداً فى ذلك الزمان ، وإنما قال الله تعالى له ذلك ليستنطقه بجوابه الآتى فيترتب عليه مارتبه من تنبيهه إلى حدوث ماحدث من الخوارق العجيبة فى نفسه ، وفى طعامه وشرابه ، وفى حماره ، تلك الخوارق الدالة على باهر قدرته عز وجل ، الحاسمة لمادة الاستبعاد فى إحياء القرية المذكورة بعد موتها (قال لبثت يوما أو بعض يوم) قال ذلك بحسب ظنه وتخمينه ، فلا حرج فيه وإن كان خلاف الواقع ، وقد تحرى واحتاط فلم يجزم بأنه يوم كامل أو بعض يوم ، وهذا دأب الصالحين العارفين بربهم الحريصين على دينهم ، قال بعض العلماء : إن (أو) فى مثل هذا المقام إنما تدخل إذا انبنى أول الخبر على الجزم ، ثم عرض فى آخره شك ولا جزم بالنقيض ، بخلاف (بل) فانها تدخل للاضراب عن الجزم الأول إلى الجزم بنقيضه ، فلو كان جازما بأن مكثه وهو ميت لم يكن يوما كاملا ، وإنما كان بعض اليوم لقال لبثت يوما بل بعض يوم (قال) الله تعالى رداً عليه وبياناً لحقيقة الواقع (بل لبثت مائة عام) وأنت ميت وقد حفظنا جسمك من التلف وطعامك من التغير ، وإذا تعجبت من هذا أو رأيته أمراً مستبعداً (فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه) أى لم يتغير كل منهما عن حاله طول تلك المدة ، بل بقى غضاً طريا كما كان بهيئته الأولى ، ويصح أن يكون التقدير ، وإذا أردت أن نضم إلى هذا الدليل الذى وقفت عليه فى نفسك دليلا آخر ، وتشوفت إلى عجائب أخرى من عجائب قدرتنا ، ودلائل عظمتنا فانظر إلى طعامك وشرابك إلخ ، قيل : كان طعامه تيناً وشرابه لبناً ، وإفراد الضمير فى قوله (لم يتسنه) مع عوده على شيئين وهما الطعام والشراب لجريانهما مجرى الواحد وهو الغذاء مثلا ، وفى قراءة (وهذا شرابك لم يتسنه) وحينئذ فيكون قوله (لم يتسنه) راجعاً للشراب وحده ، وحذف من الطعام لدلالة مابعده عليه (وانظر إلى حمارك) كيف نخرت عظامه وتفرقت أوصاله وصار رميما بالياً ، انظر إليه وهو فى هذه الحالة المباينة للحياة كيف تجتمع أوصاله وتسرى فيه الحياة فيعود حياً كما كان (ولنجعلك آية للناس) أى أمتناك مائة عام ثم بعثناك بعدها لنريك مشاهدة وعياناً عجائب قدرتنا ، فلا تستبعد مااستبعدته من إحياء القرية بعد موتها ، أى فعلنا مارأيت فى طعامك وشرابك وفى حمارك لهذه الحكمة الجليلة المتعلقة بشخصك ولحكمة أخرى عائدة على غيرك وهى أن نجعلك آية وعبرة للناس حين يشاهدونك ، ويتحدثون معك ، وتخبرهم بما جرى عليك من الموت والحياة ، وما كان من شأن طعامك وشرابك وسائر مايتعلق بك ، فالمراد بالناس الموجودون فى زمنه ، ولامانع من إرادة العموم فيشمل الموجودين ومن يوجد بعدهم إلى يوم القيامة وكون هذه الآية آية للناس جميعاً لايستلزمه أن يكونوا كلهم لها مصدقين وبها معتبرين ، فهى فى ذاتها آية بينة ، ولكن لاينتفع بها إلا من من الله تعالى عليهم بالهداية والتوفيق ، أما سواهم فهم عنها معرضون كما قال تعالى (وكم من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) ـ (وانظر إلى العظام)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أي عظام الحمار ، انظر إليها نظر الفاحص المتأمل (كيف ننشزها) أي نضمها ونجمعها ونرفع بعضها إلى بعض ونركبها في أماكنها تركيباً بديعاً (ثم نكسوها لحماً) أي نسترها باللحم كما يستر الجسد باللباس ، روى أنه نودي : أيتها العظام البالية ، إن الله يأمرك أن تجتمعي ، فاجتمع كل جزء من أجزائها ، ثم ألبسها الله العروق والعصب ، ثم كساها اللحم ، ثم أنبت عليها الجلد والشعر ، ثم نفخ فيه الروح فقام الحمار رافعاً رأسه وأذنيه ناهقاً (فلما تبين له) أي اتضح وانكشف له بالمشاهدة والعيان مامر من إحياء القرية وإحيائه هو بعد مالبث مائة عام وحفظ طعامه وشرابه من التغير والفساد ، وإحياء حماره بعد أن صار رميماً بالياً (قال أعلم) علم مشاهدة وعيان ، بعد أن علمت بالدليل والبرهان (أن الله على كل شيء) من الممكنات القابلة للايجاد والاعدام ، ومنه ماسبق من إحياء القرية وغيرها (قدير) تام القدرة لايعجزه شيء ، يحيي ويميت ويوجد ويعدم ، ويعز ويذل ، ويغني ويفقر ، ويخرق العادة لمن يشاء حيث يشاء ، لارب غيره ولا خالق سواه — هذا ويمكن أن يستنبط مما سبق الأمور الآتية : ـ

(١) أن المعاصي تزيل النعم ، وتسلب الملك ، وتخرب المنازل والقرى ، وتكبل مرتكبها في قيود المذلة والاستعباد ، ويؤخذ ذلك من تسليط الله تعالى بختنصر على بني إسرائيل حتى خرب بيت المقدس وقتل منهم من قتل وأسر من أسر إلخ ، وقد كثرت النصوص الشرعية الدالة على ذلك ، قال تعالى (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا) وقال عز شأنه (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « يامعشر المهاجرين ، خمس خصال إن ابتليتم بهن ونزلن بكم ، أعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فيأخذ بعض مافي أيديهم ، ومالم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله » ومثل هذين الحديثين مما لايحتاج إلى شرح وتعليق ، فالحوادث الحاضرة وأحوال المسلمين الراهنة خير شارح لذلك .

(٢) أن فشو الفساد والظلم في الأمة يقتضي هلاكها وتدميرها ولو كان فيها بعض أهل الصلاح والخير ، يؤخذ ذلك من أن الله تعالى فعل مافعل ببني إسرائيل مع وجود العزير بينهم ، بل العذاب إذا نزل يعم حتى الصالحين أنفسهم ، ولذلك أسر العزير مع من أسر ، وبهذا نطق الكتاب والسنة ، قال تعالى (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها قالت : استيقظ رسول الله ﷺ محمراً وجهه يقول : « لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ـ وعقد تسعين أو عقد مائة ـ قيل : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث » وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « إذا أنزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ، ثم بعثوا على أعمالهم »

(البقية على الصفحة ٣٨)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

« بقية المنشور على الصفحة ٨ »

(٣) أن الله تعالى قد ينتقم من الظالم بظالم مثله أو أظلم منه بل قد يسلط الله تعالى الكفار على المسلمين يؤخذ ذلك من تسليط الله تعالى بختنصر على بنى إسرائيل وفيهم العزير عليه السلام ، وفى الحديث : إنى سألت ربى لأمتى ألا يهلكها بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيحوا بيضتهم ، وإن ربى قال لى يا محمد إذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، وإنى أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيحوا بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضاً ، فبين صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يسلط علينا أعداءنا الكفار إذا خرجنا - والعياذ بالله تعالى - على ديننا الحنيف ، وفشا بيننا التنازع والتناحر وسب بعضنا بعضاً .

(٤) أن انخراق العادة جائز عقلا ، وواقع فعلا ، يؤخذ ذلك مما فعله الله تعالى مع العزير من إماتته مائة عام ثم بعثه حيا بعد ذلك ، ومن حفظ طعامه وشرابه طول تلك المدة المديدة ، وقد حكى العلماء إنكار ذلك عن الفلاسفة ، وردوا عليهم فيه أبلغ رد ويحزننا أننا نجد فى بعض أفراد من كتاب العصر الحاضر ميلا إلى عدم التصديق بخوارق العادات أو بعبارة أخرى ميلا إلى تضييق نطاقها إلى حد كبير حتى اجترءوا على إنكار بعض المعجزات النبوية المحمدية ، وبعضهم يلتمس لهذه المعجزات عللا مادية وينسبها إلى ظواهر طبيعية ، والبعض يصدق بمعجزات الأنبياء ولكنه ينكر كرامات الأولياء إنكاراً باتا ، وكل هذا خبط وضلال بسببه الاشتغال بالماديات ، وعدم التأمل فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

(٥) أن مشاهدة العجائب والخوارق كثيراً ما تكون سبباً فى تقوية اليقين وزيادة المعرفة والطمأنينة فى القلب ، يؤخذ ذلك مما حكاه الله تعالى عن العزير بقوله : (فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شى قدير) ويلزم من ذلك أن العلوم متفاوتة وأن بعضها أكمل من بعض ، ولا شك فى ذلك قال تعالى (وقل رب زدنى علماً) وقد قال العلماء إن العلم أقسامه ثلاثة : علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين ، فعلم اليقين ما يحصل عن قاطع البرهان . وعين اليقين ما يحصل عن المشاهدة والعيان ، وحق اليقين هو تحقيق العيان بالوجدان

(٦) أن إظهار الخارق من معجزة أو كرامة جائز شرعا ولا مانع منه بل مطلوب إذا ترتبت عليه مصلحة ككونه سبباً فى زوال علة . أو تقوية يقين بعض المريدين ، يؤخذ ذلك مما فعله العزير عليه السلام مع الأمة العمياء المقعدة أما على القول بنبوته فظاهر ، وأما على القول بولايته وهو رأى الأكثر من العلماء فلأن الأولياء محفوظون من المخالفات غالباً ، فلو لم يكن هذا جائزا فى شرعه أى شرع النبى الذى كان يعمل به لما أقدم عليه وقد نص علماؤنا صراحة على جواز ذلك كما فى الرسالة القشيرية وغيرها . نعم الأكمل وهو الغالب من أحوال الصادقين التستر ما أمكن ، بل بعضهم يستغفر من وقوع هذه الكرامات على يديه كما يستغفر من صدور المعاصى منه ، وغالب ما هو مسطور فى الكتب عن الأولياء من هذه الكرامات إنما صدر منهم بغير اختيار ولا تعمد ، أو فى حالة استغراق قاهرة فيحفظها أتباعهم ويدونونها فى الكتب لمقاصد حسنة وأغراض صحيحة ، ومن تعمد منهم وقوع شىء من ذلك على يديه فمصلحة كما قلنا . أو على سبيل التحدث بنعمة الله تعالى : والمتحدث بنعمة ربه عليه لا يقصد مدح نفسه فى الحقيقة ، وإنما يقصد الثناء على الله تعالى وبيان ذلك أن الكرامة لها حيثيتان : حيثية صدورها من الله تعالى وكونها فعلا من أفعاله وجميلا صادراً

منه لبعض عباده ، وحيثية تعلقها بالشخص الذى ظهرت على يديه وكونها دالة على شرف قدره وعظم منزلته عند ربه فذكرها باعتبار الحيثية الأولى هو التحدث بنعمة الله تعالى الممدوح ، وذكرها باعتبار الحيثية الثانية هو تزكية النفس المنهى عنها بنص القرآن الكريم . ولما كانت هذه التفرقة دقيقة وملاحظتها من أصعب الأشياء حظر الأشياخ على المريدين التحدث بأحوال قلوبهم وعجائب سيرهم وما يفاض عليهم من النفحات والأسرار لئلا يختلط الأمر عليهم فيذكرون هذه الأحوال تزكية لنفوسهم وإعلانا عن مقامهم من حيث يظنون أنهم يتحدثون بنعم الله تعالى عليهم ، وما ذكرنا هذه النبذة فى هذا الموضع إلا تلبية لبعض الرغبات ، ووضعاً للحق فى نصابه ، ونقول بعد ذلك إن المدار كله على الاستقامة ، ومن دخل الطريق لمجرد أن تخرق له العادات فهو خاسر الصفقة مفتون ، وما أحسن قول صاحب الحكم ، تشوفك إلى مابطن فيك من العيوب ، خير من تشوفك إلى ماحجب عنك من الغيوب ، والله جل شأنه يقول : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » لم يقل أطيركم فى الهواء ، ولا أمشاكم على الماء ، ولا أكثركم حديثا عن خواطر القلوب ، كما لم يقل أكثركم مالا ولا أغزركم علماً ، وإنما قال أتقاكم ؛ والتقوى هى امتثال المأمورات ظاهراً وباطناً ، واجتناب المنهيات كذلك . والله ولى التوفيق .

(٧) أن للعادة سلطانا قويا على النفوس البشرية حتى الكاملة منها يؤخذ ذلك من قول العزير (أنى يحيى هذه الله بعد موتها » فانه إنما استبعد ذلك نظراً للعادة فقط .

(٨) أن المؤمن الصادق ينبغى له الاحتياط فى دينه ، والتحرى فى أموره كلها جهد طاقته ، يؤخذ ذلك من قول العزير « لبثت يوما أو بعض يوم » فانه لم يجزم بكونه يوما كاملا أو بعض يوم احتياطا وتورعا فى الجواب .

(٩) أن الاجتهاد والعمل بالقرائن عند عدم وجود النص القاطع لاحرج فيه ، بل هو المتعين ، حينئذ يؤخذ ذلك من أن العزير عليه السلام حكم بأن مدة لبثه ميتاً كانت يوما أو بعض يوم أى أنها دائرة بين ذلك فقط ، عملا بقرائن الأحوال التى منها وجود طعامه وشرابه بهيئتهما دون أن يحصل فيهما أقل تغيير .

(١٠) عظيم عنايته تعالى بالمخلصين من عباده الصادقين فى التوجه إليه باجابة دعواتهم وتحقيق رغباتهم ، وإزاحة ماعساه أن يعرض لقلوبهم من الخواطر والعلل ، يؤخذ ذلك مما فعله الله تعالى مع العزير عليه السلام أولا وآخراً حيث نجاه من الأسر وخلصه من يد عدوه ، وأراه جل شأنه فى نفسه وفى طعامه وشرابه وفى حماره وفى القرية التى مر عليها وهى خاوية على عروشها ، ثم أحياها الله بعد ذلك من العجائب والأسرار ماتبتهج به البصائر ، وتطمئن له القلوب ، فما أوسع كرمه تعالى وأعظم إحسانه .

عبد الجواد محمد الدومى

تفسير القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

لَا أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا * أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ * فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ * أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ .

صدق الله العظيم

طلب إلينا أحد الأفاضل أن نكتب ملخصاً لتفسير هذه السورة الكريمة . ونبعثه إلى مجلة الإسلام الغراء لنشره بهذا العدد . فنقول بعون الله تعالى وتوفيقه :

اتفق المفسرون على أن هذه السورة مكية ، واختلفوا فى (لا) من قوله تعالى : (لاأقسم بهذا البلد)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هل هى مزيدة لتأكيد القسم . أو نافية لفعل القسم المذكور بعدها . أو لكلام مقدر معلوم من المقام . وهذا هو الأظهر عندنا ، وبيانه أن الله جلت قدرته لما ختم السورة السابقة ، سورة الفجر بقوله (يأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) وكان هذا فى قوة الأمر بتحصيل صفات النفس المذكورة ، ووجوب التخلى عن أضدادها . أراد جل وعلا أن يزيد هذا الأمر تأكيداً وتقريراً فقال : (لاأقسم بهذا البلد) إلخ أى لاتتكاسلوا أيها المكلفون ولا تهملوا وتدعوا العمل اتكالا على المكتوب والمقدور أزلا . بل اعملوا وثابروا واجتهدوا فى القيام بالتكاليف الشرعية والتخلق بالأخلاق المحمدية لتحصلوا على تلك الصفات الفاضلة ومقامات النفس الرفيعة ، وهى المطمئنة ، والراضية ، والمرضية ، والكاملة ، ولا تكونوا كالذين نسوا الله تعالى وعشوا عن ذكره فأنساهم أنفسهم وأغفل قلوبهم عن حكمته فى خلق الإنسان وتكليفه بالأمر والنهى . هذا مضمون النفى بهذا الحرف الكريم . وقد زاده بيانا وتوضيحا بالقسم بعده حيث قال : (أقسم بهذا البلد) العظيم وهى مكة المكرمة مهبط الوحى وموضع التنزيل ومولد النبى ﷺ ، ومقر البيت الحرام . قبلة الخلق كافة (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) ومن هنا يعلم أن الأماكن كالأشخاص لاعبرة فيها بالمظاهر والظواهر فإن مكة أرض قاحلة وبقعة جبلية ليس فيها من المناظر الجميلة والعمارات الفخمة والحدائق الغناء . ما يخلب الألباب ويلفت الأنظار ومع ذلك فقد اختصها الله تعالى بتكريمه وتعظيمه حتى استحقت أن يقسم بها فى كتابه العزيز . (وأنت حل بهذا البلد) أى وأنت حلال بهذا البلد بأن تدخله فاتحا ويحل لك القتال فيه . فهو وعد من الله تعالى ، وبشارة للنبى ﷺ بفتح مكة المشرفة ، وفيه معجزة للقرآن الكريم حيث تحقق ماأخبر به فى المستقبل . فقد أنجز الله تعالى لحبيبه هذا الوعد الكريم . وفتح له مكة فتحاً مبينا . أعز به دينه وجنده واستنقذ به هذا البلد الأمين من أيدى الكفار ، وأحلها له عليه الصلاة والسلام يوم الفتح ساعة من نهار يقاتل فيها ويفعل فيها مايريد ، ولم يحلها لأحد قبله ، ولن تحل لأحد بعده . كما قال ﷺ : أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة . فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص فيها لقتال رسول الله ﷺ : فقولوا له : إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أحلت لى ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب . ثم قال : يامعشر قريش ، ماترون أنى قاعل فيكم . قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . أى الذين أطلقوا من الأسر والاسترقاق : وروى أنه ﷺ فى ذلك اليوم وضع رأسه تواضعاً لله تعالى وشكراً لنعمة هذا الفتح العظيم حتى كاد رأسه الشريف يمس رحله من فرط التواضع والخضوع . فقد أخرجه الذين كفروا من هذا الوطن المحبوب وهو كاره لذلك ومغتم لما هم عليه من الكفر والعناد والعداوة والأذى الشديد له ولأصحابه وبخاصة المستضعفون منهم الذين خلفهم من بعده يتجرعون مرارة الذل والهوان ويتحملون المكاره

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمشاق وهم لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا إلى الخلاص . وها هو الآن قد دخلها ظافراً منتصراً . معظما مبجلا . وقد أسلم غالب أهله وأخرجهم الله من الظلمات إلى النور وذلك هو الفضل الكبير .

ويحتمل أن يكون المراد بقوله تعالى (وأنت حل بهذا البلد) أى وأنت حالّ ومقيم به الآن وفى هذا من تعظيم القسم وتفخيمه مالا يخفى ، فإن مكة فى ذاتها عظيمة و بحلوله ﷺ وإقامته فيها زاد عظمها وشرفها . وقيل المراد : (وأنت حل بهذا البلد) أى وأنت منتهك الحرمة مستحل الدم به . يستبيحون أذاك و يرمونك بأنواع المكاره و يحثون التراب على رأسك الشريف و يجعلون الدم على بابك ، مع كونهم يتحرجون عن التعرض لصيده وقطع شجره ، ولا ينتهكون فيه حتى حرمة القاتل عمداً ، وفى هـذا من التو بيخ والتقريع لأولئك الأشرار مايقطع نياط القلوب . حيث يحافظون على حرمة الصيد فى هذا البلد الأمين . فلا يفزعونه ولا يتعرضون له بسوء ، وهم ينتهكون حرمة أعظم مخلوق وأشرف كائن ، صلوات الله وسلامه عليه ، وقد روى أن نفراً من أهل الكوفة سألوا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن الحكم في دم البعوض فقال لهم : واعجبا لكم تسألون عن دم البعوض ، وقد أرقتم دم ابن بنت رسول الله ﷺ !!! (ووالد وما ولد) أى وأقسم بوالد وهو آدم عليه الصلاة والسلام وما ولد وهم ذريته إلى يوم القيامة ، والتعبير بما فى قوله (وما ولد) دون من لأن المراد الوصف العجيب . أى وأقسم بذلك الوالد العظيم الذى تعرفون أمره وقصته . حيث خلقته بيدى وأكرمته بتعليم الأسماء كلها ، وأمرت ملائكتى بالسجود له سجود تحيـــة وتعظيم . لاسجود عبادة ، و بالمولودات العجيبة التى ولدها وتفرعت عنه مباشرة أو بالواسطة ، وهم النوع الإنسانى بأسره مجمع العجائب ومحل الغرائب فى خلقه وتصويره وتسوية أعضائه ، وشق سمعه و بصره . ونفخ الروح فيه ، وتميزه بالعقل المفكر و إلهامه النطق والتد بير ، والإحاطة بالمعلومات الكثيرة وغير ذلك مما يعلمه خالقه ومبدعه الحكيم ، والمقسم عليه هو قوله تعالى : (لقد خلقنا الإنسان) أى الجنس كله على اختلاف أشكاله وطبقاته بما فيهم الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام (فى كبد) أى فى تعب ومشقة أحاطت به إحاطة الظرف بالمظروف منذ أن كان جنينا فى ظلمة الرحم إلى أن يستقر به القرار فى الجنة يوم القيامة و يسمع النداء من قبل الحق تعالى : ياأهل الجنة خلوداً بلا موت . هذا إذا كان من أهل الجنة . أما إن كان من أهل النار فكبده ماله غاية ، وشقاؤه ليس له نهاية . فالإنسان مالم يستقر به القرار فى دار الكرامة والتنعيم فهو ليس بآمن من المشقة والكبد ، ومن هنا قول الصديق الأكبر رضى الله عنه وعنا به . لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمى فى الجنة ، و بيان ذلك أنه وهو جنين في بطن أمه يكابد ظلمة الرحم والأحشاء ، ويعانى شدة فى كيفية جلوسه واستقراره فى هذا المضيق . ثم إذا حان وقت الخروج تغير وضعه فصار أسفله أعلاه وأعلاه أسفله . ولقى شدة فى بروزه من الموضع المعلوم . و بعد ذلك يكابد قطع السرة وعناء الارتضاع ، وأذى الحر والقر وتقلبات الأجواء واختلافات الطقوس وأمه لاتدرى ماتتطلبه راحته فى كل وقت ، وكثيراً مايبكى لمغص

فى جوفه أو برغوث يقرصه وهى تجهل حقيقة مابه فتلقمه ثديها ظنا منها أنه يبكى من الجوع وبالعكس . وهو لا يستطيع الإفصاح عن حاله والتعبير عما فى نفسه . وقد تضيق عليه القماط فيتعب ويتألم أو يستيقظ وهى نائمة فيسقط من فوق السرير وهى لاتشعر به وقد تضربه بيدها أو رجلها وهى نائمة فترض جسمه وتؤذيه. ثم إذا نبتت أسنانه كابد منها شدة . ثم يكابد الفطام وهو أشد ما يكون عليه . ثم يكابد الحبو والمشى على الحائط تارة ومستقلا أخرى . وربما سقط لفيه فشجت جبهته أو تعفر وجهه بالتراب . ثم يكابد اللعب مع الأطفال خارج البيت ويلقى الكثير من وكزهم وضربهم ثم يكابد الختان وما فيه من الآلام والأوجاع حتى إذا شب وترعرع كابد المدرسة والتعليم وتحمل عناء المذاكرة والتحصيل وتعرض للمشاق والاخطار فى الذهاب والإياب ثم يهتم بأمر المستقبل ومغامرة الحياة ،وتتوق نفسه إلى الزواج فيكابد الاشتغال باختيار الزوجة والصهر والقيام بأعباء النفقة والمهر وغير ذلك من التكاليف الباهظة ، وقد كان قبل ذلك يحمل هم نفسه فقط . فأصبح يحمل همه وهم رفيقته التى قد لايعرف الكثير من أحوالها وأخلاقها ، وعما قايل يحمل شغل الأولاد وسياستهم والقيام بنفقاتهم وتعليمهم . ثم يكابد الشيخوخة والكبر وما يلازمها من الأوجاع والأسقام زد على ذلك كله مكابدته للتكاليف الإلهية وتحمله للأمانة التى عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان . ثم ينزل به الموت فيكابد سكراته وغمراته . وليته إذا مات استراح . بل يعانى سؤال الملكين وضغطة القبر وظلمته ووحشته ثم يخاف البعث والنشور وأهوال الموقف والعرض على الله تعالى ومناقشته الحساب والمرور على الصراط . واجتياز عقباته ومخاطره ؛ وهو لايدرى مصيره وما الله صانع به أيأمر به إلى جنة يدوم نعيمها . أم إلى نار يدوم عذابها . وقد روى عن عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه أنه لما آلت إليه الخلافة جمع نساءه وجوار به وخيرهن بين تسريحهن والبقاء معه من غير أن يقربهن وقال لهن لقد نزل بى أمر لاأفرغ من الاشتغال به حتى يفرغ الناس من الحساب وأعرف مصيرى يوم القيامة . فبان أن قولهم : من مات فقد استراح : معناه أنه استراح من مصائب الدنيا فقط ، وأما شدائد الآخرة فلا يستريح منها حقيقة إلا بدخول الجنة . نسأل الله تعالى أن يدخلنا إياها من غير سابقة عذاب .

هذا وما خلق الله تعالى الإنسان فى ذلك الكبد إلا ليخفف من غلوائه ويقل من غرب كبريائه حتى لايطغى ولا يشمخ بأنفه ويتكبر على ربه (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) فخلقه فى كبد إنما هو ليشهد ذله وضعفه وافتقاره إلى مولاه ويديم القرع لباب سيده ويكثر من التضرع والدعاء الذى هو مخ العبادة ولباب التقوى .

على أن كثيرا من الناس مع هذا الكبد الملازم — قد اغتروا بما خولهم الله تعالى من القوى المحدودة والأموال المستعارة فراحوا يتمردون عليه ويجحدون نعمته ويصرفونها لافيما خلقت لأجله من طاعته وامتثال أمره بل فى عداوة نبيه ﷺ وإطفاء نوره ومناوأة دعوته ، وحسبوا أن مابأيديهم من ذلك إنما أوتوه على

علم عندهم واستولوا عليه بذواتهم لأنهم تخيلوا الإمهال . أى تأخير العقوبة إلى الأجل المسمى فى علم الله تعالى إهمالا وتوهموا الحلم عنهم رضا بما يصدر منهم فأصروا على العناد والتكذيب واستمروا على المناوأة والمعاكسة والله من ورائهم محيط كما قال عز شأنه (أيحسب الإنسان) هو رجل من قريش يقال له أبو الأشد كان ذا قوة ومال وكان شديد الاغترار بقوته مسرفا فى عداوة الرسول ﷺ . روى أنه كان يجعل الأديم العكاظى — أى الجلد المتين — تحت قدميه ويقول من أزالنى عنه فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماه . وقيل هو الوليد بن المغيرة . وقيل أبو جهل . وعلى كل فالمراد كل متصف بهذا الوصف الذميم . إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . والمعنى . أيحسب الإنسان الظالم . المتمرد على ربه . المغتر بقوته وماله (أن لن يقدر عليه) أى على أخذه ومعاقبته وساب ماعنده من القوة والمال (أحد) مع أن الله تعالى محيط به وعالم بأعماله السيئة وأحواله القبيحة وهو قادر على أن يبدل قوته ضعفا وصحته مرضا وغناه فقرا وعزه ذلا وإهانة . وإنما أخر العقوبة عنه لما اقتضته حكمته من الإمهال إلزاما له بالحجة . ومضاعفة للتبعات عليه كما قال تعالى (والذين كفروا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون وأملى لهم إن كيدى متين) (يقول) ذلك الظالم الجحود مفتخرا بالباطل ومتمدحا بالقبيح وهو صرف المال فى المحرمات كما يقع لكثير من المجرمين فى هذا الزمن الذين يهلكون أنفسهم وأموالهم فى شهود الملاهى وشرب الخمور وتعاطى المخدرات . أو يتبرعون بها فى بعض المشاريع الخيرية . لكن لارغبة فى الخير ولا ابتغاء لمرضاة الله تعالى ، بل يقصد الشهرة وحب الظهور بدليل أنهم يؤثرون ذلك على بعض الواجبات الضرورية ، كمساعدة المحتاجين من أقاربهم وجيرانهم (يقول) هذا المجرم الشقى (أهلكت) أى صرفت وأنفقت فى سبيل عداوة محمد ﷺ وعداوة الحق ، وإنما عبر بالإهلاك إظهاراً لعدم الاكتراث ، وإشعاراً بأنه لم ينفق ما أنفق رجاء لنفع أو انتظاراً لمثوبة (مالا لبدا) أى مالا كثيراً مترا كما بعضه على بعض (أيحسب) حين يقول ذلك ويتبجح به (أن لم يره) ويطلع عليه ويقف على أحواله ويعلم مقدار ما أنفقه ، والباعث الذى بعثه على الإنفاق (أحد) والله تعالى عالم بذلك كله وسوف يسأله عنه ويحاسبه عليه كما جاء فى الحديث عنه ﷺ : أنه لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه .

ثم لما ذكر الله تعالى فيما سبق أنه خلق الإنسان فى كبد وقضى عليه بالتكليف وجعل الدنيا ميدانا ، كتب عليه فيها المشقة والجهاد ؛ أراد أن يبين جل ذكره أنه ما فعل ذلك إلا وقد هيأ الإنسان لهذه المهمة ومكنه منها ، وجعل فيه استعداداً كافياً للقيام بأعبائها ، فخلق له الوسائل والآلات من العين والأذن واللسان والعقل الذى يمكنه من فهم الخطاب ، وتعقل الأمر والنهى ، والتمييز بين النافع والضار ، وهداه بواسطة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإلهام الفطرى ، وعلى أيدى الرسل عليهم الصلاة والسلام طريق الخير والشر ، ونصب له على كل منهما علامة واضحة تميزه عن الآخر ، فجعل طريق الجنة وهو طريق الخير محفوفاً بما تكرهه النفوس وتنفر منه ، وجعل طريق النار وهو طريق الشر محفوفاً بما تستلذه النفوس وتشتهيه كما قال ﷺ : حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات : فالحياة ميدان . والمكلف باعتبار عقله وروحه كالغازى المجاهد وبدنه فرسه الذى يقاتل عليه ، وجوارحه وحواسه بمثابة الأسلحة والذخائر ، فلا ينبغى للعاقل الطالب لأسنى المطالب بعد ذلك أن يتكاسل ويتخاذل ، إذ لا حجة بعد الرسل ولا عذر بعد البيان ، وخلق الاستعداد الكافى ، فقال : (ألم نجعل له عينين) أى قد جعلنا له عينين يبصر بهما آيات الله تعالى ويتقى المكاره والأخطار (ولسانا) يدل به على مافى نفسه ويترجم به عن ضميره ، أودع فيه قوة الذوق وجعله أداة للتخاطب والتفاهم (وشفتين) ستر بهما الفم وزينه بهما وجعلهما عونا على النطق والأكل والشرب وغير ذلك (وهديناه النجدين) أى لم نكله إلى عقله ، بل أرسلنا له الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزلنا له الكتب وبينا له طريقى الخير والشر وعلمناه كيفية العمل ، ورسمنا له خطة الجهاد ، فقد كان ﷺ يقول : (خذوا عنى مناسككم) ، (صلوا كما رأيتمونى أصلى) ولكن الإنسان تقاعد وتخاذل ، وأحجم عن الجهاد ، واستسلم لعوامل الشهوة والهوى ؛ حتى احتل الشيطان مدينة بدنه وتسيطر عليها سيطرة كلية ، فسخر الجوارح والأعضاء فى المعاصى والفجور واستعملها فى غير ما خلقت له من طاعة الله تعالى وشكره . فالعين التى كانت لاتنظر إلا فى المصحف ونحوه كالنظر فى آيات الله تعالى الكونية ، أو النظر فى الطريق الحسى الموصل إلى المسجد أو البيت ، أصبحت لا تنظر إلا فى المحرمات كالنظر إلى المرأة الأجنبية أو الغلام الأمرد بشهوة . والأذن التى لم تكن تسمع إلا المواعظ والذكر وقراءة القرآن ، صارت تستعمل فى سماع الملاهى وآلات الطرب وسماع الكلام القبيح من الغيبة والنميمة ، وهكذا سائر الجوارح والأعضاء ، ولهذا يقول تعالى (فلا اقتحم العقبة) أى خلقنا فيه الاستعداد ، وكلفناه بالجهاد ، ورسمنا له الخطة ، ولكنه ما قام بما كلف به ، ولا جاهد نفسه وهواه ، ولا حافظ على ثغور بدنه ، بل تركها عرضة للعدو الواقف بالمرصاد المنتظر غفلة الحراس والجند . وأصل العقبة الطريق الصعب فى الجبل استعير لمجاهدة النفس بفعل الطاعات وترك المنهيات ، لأن هذا هو الجهاد الأكبر الذى هو أصعب من جهاد الكفار بالحديد والنار ، لأن ذاك جهاد فى عدو ظاهر تراه كما يراك فتقدم إن رأيت المصلحة فى الإقدام ، وتحجم إن قضت المصلحة بذلك ، وتستعد له بما يناسب استعداده . وهذا جهاد فى عدو باطن يراك ولا تراه (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) ثم نوه الله تعالى بشأن هذه العقبة التى طلب من الخلق اجتيازها واقتحامها . وزاد أمرها تفخيما وتعظيما ، فقال : (وما أدراك) أيها المخاطب (ما العقبة) أى ما أعلمك بكنهها وحقيقتها ، ثم فسرها بأهم ما فيها وهو الإعتاق والإطعام فى وقت المسغبة ، على حد قوله ﷺ : الحج عرفة . يعنى أهم أركان الحج وأعظم مقاصده الوقوف بعرفة . فقال : العقبة هى (فك رقبة) إلخ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يعنى ليس اجتياز العقبة المذكورة كلمة تلوكها الألسنة و يدعيها المدعون كما هو دأب البطالين أنصار الهزيمة والخذلان الذين :

رضـــوا بالأمانى وابتلوا بحظوظهم وخاضوا بحـار الحب دعوى فما ابتلوا
فهم فى السرى لم يبرحوا عن مكانهم وما ظعنوا فى السير عنـه وقد كلوا
وعن مذهبى لما استحبوا العمى على الهـــدى حسداً من عند أنفسهم ضـــلوا

وإنما هو ذبح للنفس بسيف المجاهدة والمكابدة . وله أمارات تدل عليه : منها فك الرقبة ، اى تخليصها وتحريرها من ربقة الرق ابتغاء مرضاة الله . وقد ندب الشارع إلى إعتاق الرقاب؛ و رغب فيه ترغيبا كثيرا ، والأولى والله أعلم أن يراد من فك الرقبة هنا ما هو أعم من العتق ونحوه كاغاثة الملهوفين ومساعدة المضطرين وتفريج كرب المكروبين والتيسير على المعسرين بأى نوع من أنواع المساعدة والمعونة (أو) العقبة المراد اقتحامها (إطعام) يعطيه العبد (فى يوم ذى مسغبة) أي ذى مجاعة وشدة لقلة القوت وكثرة المحتاجين إليه (يتيما ذا مقربة) أى قريبا له معطى فى النسب أو فى الدار (أو مسكينا ذا متربة) أى التصاق بالتراب لشدة فقره واحتياجه . و إنما كان فك الرقبة و إطعام القريب والمسكين فى يوم المسغبة هى العقبة الكؤد التى لايجتازها إلا القليل من الصادقين ، لأن بذل المال فى ذاته شديد شاق . إذ هو شقيق الروح . و بذله فى وقت المسغبة أشق وأصعب . ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجـود وما لديك قليـل

والوجه فى تخصيص اليتيم ذى المقربة والمسكين ذى المتربة بالذكر هنا أن النفس غالبا لا تسخو بالبذل على الأقارب لما يكون فى أكثرهم من الحقد على قريبهم الغنى وعدم اعترافهم له بالجميل واعتبارهم جميع ما يقدمه إليهم حقاً واجباً لهم فى ماله لمكان قرابتهم منه ، فلا تنطلق ألسنتهم بالثناء عليه ، ولا يبالغون فى احترامه وتعظيمه . كما هو شأن الأباعد ، ولهذا ترى كثيراً من الناس المتظاهرين بالصدقة والإحسان يترك الواحد منهم قريبه أو جاره الملاصق له يتضور جوعا و يذوب حسرة وألما مع علمه بذلك و إحساسه به فلا يرق له ولا ينفس كربته بقليل مما عنده . بينما هو ينفق الكثير الوفير على المتسكعين فى الشوارع والطرقات أو المعتكفين بأضرحة المشايخ مع أن كثيراً من هؤلاء قد لايستحق الصدقة ، ومنهم من تجب عليه زكاة المال . فمساعدة اليتيم القريب أعظم محك يتميز به المخلص من المرائى خصوصا إذا وقعت فى السر ولم يطلع عليها الناس وكذلك إطعام المسكين ذى المتربة لأن معرفة من هذا حاله تحتاج إلى كثرة بحث وتحر مع قوة فراسة وفطنة إذ هو فى الغالب قليل السؤال يندر أن يتعرض إلى الناس ويفضى إليهم بحاجته فقد تنبو عنه الأنظار و يحسبه الجاهل غنيا من التعفف ، وغالب الناس يحب المحمدة والثناء مولع بالصدقة على من يتعرض له و يلتف حوله و يصيح خلفه بالألفاظ التى اعتادها السؤال فى هذا الموقف .

ولما كان الإيمان هو أساس الصالحات كلها والشرط الذى لابد منه فى جميع الأعمال بين الحق تعالى ذلك

فقال « ثم كان » هذا المقتحم للعقبة المتصف بالصفات المذكورة قبل ذلك « من الذين آمنوا » بالله تعالى ووثقوا بوعده ووعيده وعظموا أمره ونهيه ، أما غير المؤمن فعمله مردود عليه « وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً » « وتواصوا » أى بعد أن تحققوا بالإيمان والتصديق بالبعث والجزاء على الأعمال واطمأنوا إلى وعد الله تعالى ووعيده أوصى كل منهم نفسه وغيره (بالصبر) على أداء الطاعات ، التى منها بل من أهمها وأفضلها فك الرقاب وإطعام الطعام كما قال ﷺ : وقد سئل أى الإسلام خير ؟: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف ، وعلى ترك المحرمات وتحمل البليات . وفى الحقيقة من لم يوص نفسه بالصبر لم تثمر وصيته به فى غيره ، كمن يأمر بالصلاة وهو لايأتمر بها وينهى عن شرب الخمر ولا ينتهى عنه ولله در القائل : :

وغير تقى يأمر الناس بالتقى طبيب يداوى الناس وهو عليل

والوصية بالصبر تكون ببيان ثمراته ونتائجه فى العاجلة والآجلة ، وذكر الآيات والأحاديث الواردة فى ذلك كقوله تعالى : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا)وقوله تعالى : (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) فجمع للصابرين بين الهدى والرحمة، والصلوات وفى الإحياء: قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر فى القرآن فى نيف وسبعين موضعاً وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له: ومعناه حبس النفس على ماتكره وهو متفاضل ومتفاوت بحسب مايترتب عليه من النتائج والثمرات ، وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجدنا خير عيشنا الصبر ؛ وهو كما قال : فإن من لم يدرع بدرع الصبر الحصين رشقته سهام الفتن من كل جانب ، وقد عده القوم من أهم أركان الطريق وجعلوه مناط الفلاح والنجاح (وتواصوا بالمرحمة) أى الرحمة بجميع الكائنات الناطقة وغيرها وتدخل نفس الإنسان دخولا أوليا ، وفى الحديث : من لايرحم لايرحم أى من لايرحم المخلوق ولو كان كافراً أو بهيمة ملكه أو لغيره بأن يتعهده بالموعظة والنصح والتعليم والتغاضى عن هفواته وبالإطعام والسقى والتخفيف فى الحمل وترك التعدى بالضرب وغيره ، لايرحمه الله تعالى فى الآخرة وقد نهى الشارع عن تعذيب الحيوان فلا يجوز حبس الطعام والشراب عنه ولا ضربه لغير مصلحة وإن جاز ذبحه لأكل لحمه مثلا ، وكثير من الناس يتصنع باظهار الشفقة والرحمة بغيره والواقع أنه من أشد القساة لأنه عرض نفسه وأهله لمقت الله تعالى وغضبه فلم يمتثل له أمراً ولم يجتنب له نهياً (أولئك) المتصفون بالصفات المذكورة من الإيمان بالله تعالى والتواصى بالصبر والمرحمة المجاهدون فى الله تعالى حق جهاده فكوا الرقاب وأطعموا الطعام وألانوا الكلام وأحسنوا المعاملة مع الخالق والمخلوق (أصحاب الميمنة) أى أصحاب اليمن والسعادة والبركة على أنفسهم وعلى غيرهم ، إذ هم شموس الهداية ، ورحمة العباد والبلاد يحيى الله تعالى بهم القلوب الميتة كما يحيى الأرض بوابل المطر . ويدفع بسببهم أنواع المحن والبلايا فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وهم الذين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يؤتون كتبهم بأيمانهم ، ويكونون فى جهة اليمين تحت ظل العرش يوم لاظل إلا ظله، ثم ذكر القرآن الكريم كعادته مقابل هذه الطائفة بقوله (والذين كفروا بآياتنا) الكونية والتنزيلية بأن جحدوها وشكوا فى صحتها ولم يتدبروا فيها ولم يهتدوا بهدايتها ومروا عليها وهم عنها معرضون لايصدقون بشىء ولا يرغبون فى وعد ولا يرهبون من وعيد (أولئك أصحاب المشأمة) أى أصحاب الشقاوة والشؤم فى الدنيا والآخرة وهم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم يوم القيامة أعاذنا الله من ذلك،والتعبير بقوله تعالى أصحاب المشأمة هنا وأصحاب الميمنة فيما سبق للاشعار بالملازمة والدوام ، فالذين آمنوا وتواصوا بالصبر والمرحمة ملازمون للبركة واليمن والهناء والنعيم المقيم والتمتع بما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فى مقعد صدق عند مليك مقتدر . والذين كفروا ملازمون للشؤم والشقاء والهم والنكد « عليهم نار » يسجنون فيها لايخرجون منها ولا يخفف عنهم من عذابها ، ولا يصدر لهم عفو ولا تنفعهم شفاعة الشافعين بل هى « مؤصدة » أى مطبقة ومقفلة عليهم لقطع أطماعهم فى الخروج وتشديد العذاب عليهم، كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ويتجرعوا مرارة العقاب ، جزاء لما كانوا عليه فى الدنيا من الصلف والتكبر عن الحق والاعتزاز بالباطل ، يسمعون داعى الله تعالى فلا يجيبون ، ويمر عذاب الآخرة وذكرها على أسماعهم فيسخرون ويهزءون ، ويهزون رءوسهم جحداً وتكذيبا ، ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا ، نسأل الله تعالى التوفيق والهداية لأقوم طريق ؟

عبد الجواد محمد الدومى — إمام وخطيب مسجد الزينى بالسبتية

تفسير القرآن الكريم

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الجواد محمد الدومى إمام وخطيب مسجد الزينى بالسبتية

عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ

« صدق الله العظيم »

جرى ذكر هذه الآية الكريمة فى أثناء الكلام على سورة (عبس) لمناسبة ماقاله المفسرون فيهما فأردنا أن ندلى بما استراح إليه الخاطر فى تأويلها أيضا والله يرضى ويتقبل إنه جواد كريم ، رءوف رحيم

صرح جمهور المفسرين بأن هذه الآية نزلت عتابا للنبى ﷺ على إذنه لجماعة من المنافقين فى التخلف عن غزوة تبوك باجتهاد منه ، غاية الأمر أنهم قالوا إنما قدم الله تعالى العفو فيها على العتاب تطمينا لقلبه عليه الصلاة والسلام وتطييبا لخاطره الشريف ، والمعنى على هذا : سامحك الله تعالى وتجاوز عن هذا الذى فعلته واستعجلت به قبل صدور الإذن إليك ، ثم بين موقع العتاب بقوله : « لم أذنت لهم حتى يتبين لك إلخ . . » أى لأى سبب أذنت لهؤلاء فى التخلف عن الجهاد حين استأذنوا فيه معتذرين بعدم الاستطاعة وهلا تريثت وتركتهم حتى يتبين لك الذين صدقوا فى العذر من الكاذبين فيه . . هذا مضمون ما ذكروه . وهو على ما فيه من عدم اللياقة أخف وأسهل من قول الزمخشرى فى الكشاف إنه كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها ومعناه أخطأت و بئسما فعلت :

ولا ندرى بأى بنان كتب الزمخشرى هذه العبارة السمجة التى تقشعر منها الجلود وتشمئز النفوس . و بأى وجه سمحت نفسه أن يجعلها تفسيرا لكتاب الله تعالى الذى من أهم مقاصده إعظام قدر النبى ﷺ وإعلاء شأنه الرفيع ، ومن ثم قال الإمام ناصر الدين أحمد بن المنير فى انتصافه تعقيبا عليه: ليس له أن يفسر هذه الآية بهذا التفسير وهو بين أحد أمرين إما ألا يكون مراد الله ، أو يكون ولكن قد أجل الله نبيه الكريم ﷺ عن مخاطبته بصريح العتب وتلطف به فى الكناية عنه بما يلزم أن يقال عنده فما باله لم يتأدب بآداب الله خصوصا فى حق المصطفى فعلى كلا التقديرين هو ذاهل عما يجب فى حقه ﷺ : وفى الألوسى : ويا سبحان الله من أين أخذ — عامله الله بعدله — ماعبر عنه ببئسما ؟ والعفو لو سلم أنه مستلزم للخطأ فهو غير مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء و يسوغ إنشاء الاستقباح بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح إلى رتبة يتعجب منها : و يرحم الله الإمام السبكى حيث امتنع من إقراء الكشاف لهذه السقطة التى هى من أقبح ما وقع للزمخشرى فى هذا الكتاب . وقد حاول بعض الأجلاء على عادته أن يوجه الآية بتوجيه لا يكون فيه مساس بالذات المحمدية المصونة فقال بعد أن صحح القول

باجتهاده ﷺ وأنه دائما مصيب فيه : وعتاب الله له إنما هو على فعل أمر مباح له فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين :

وهو كما ترى ، فالمناسب بل الصواب — إن شاء الله تعالى — أنه لا عتاب فى الآية الكريمة أصلا إذ لم يصدر من النبى ﷺ ما يقتضيه ، وذلك لأنه إنما أذن لهؤلاء المتخلفين بناء على ما قدموه له من الأعذار واعتلوا به من العلل وأدلوا به من الأسباب التى تضطرهم إلى القعود ، وهى وإن كانت مختلقة مكذوبة لا وجود لها فى الواقع لكن النبى ﷺ بمقتضى كونه المشرع الأكبر والقدوة العظمى لمن يأتى بعده إلى يوم القيامة لايسعه إلا قبولها والعمل بموجبها ، أخرج البخارى فى صحيحه عن أم سلمة رضى الله عنها أنه ﷺ قال : « إنكم تختصمون إلى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار » وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى رواه الشيخان . ولقد كان ﷺ يعلم أحوال المنافقين وما انطوت عليه بواطنهم من الخبث والنفاق وتربص الدوائر به وبأصحابه الكرام ومع ذلك كان يعاملهم معاملة المسلمين الخلص بل ربما أعطاهم من ماله وبشاشة وجهه أكثر من غيرهم . وقيل له مرة فى قتلهم فأبى وقال : لئلا تقول العرب محمد يقتل أصحابه فالنبى عليه الصلاة والسلام لم يتجاوز الصواب قيد شعرة ولم يفعل مايستوجب العتاب رأسا وما كان له إلا أن يأخذ الناس بما ظهر من أعمالهم وأحوالهم ويكل أمر سرائرهم إلى علام الغيوب . على أن الله تعالى قد أعطاه فى هذا الأمر بخصوصه حرية كاملة وفوض إليه النظر فيه تفويضا صريحا ثقة بكماله حيث قال : فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ، فكيف يعطيه هذا التفويض الصريح ثم يعاتبه على أمر لم يقض فيه إلا بالمصلحة والخير العام كما يدل عليه قوله تعالى : (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة) أى لأخذوا فى أسبابه وتهيئوا له بإعداد الراحلة والزاد (ولكن كره الله انبعاثهم) أى ولكن لم يريدوا الخروج ولم يستعدوا له بل صمموا على التخلف والقعود وقالوا : استأذنوا محمدا ، فإن أذن لكم فاقعدوا ، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا ، وإنما فعلوا ذلك لأن الله تعالى كره انبعاثهم ولم يرد خروجهم (فثبطهم) كسلهم وحبب إليهم القعود وزينه فى قلوبهم وهو معنى (وقيل اقعدوا مع القاعدين) ثم بين الحق تعالى المفاسد والأضرار التي كانت تترتب على خروجهم لو خرجوا فقال : (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا) تخذيلا للمؤمنين وتثبيطا لهممهم (ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة) أسرعوا بينكم بالنميمة يطلبون إلقاء العداوات ونفث الحزازات تفريقا للكلمة وتمزيقا للشمل وكراهة فى نصرة دين الله (وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) وبين أيضاً أن لهم فى هذا الإفساد والكيد سوابق سيئة بقوله (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور) أى فكروا ودبروا وعملوا على كيدك وإبطال دينك (حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون)

فأى وجه يعاتب هذا النبى الكريم . وقد وافق رأيه المصلحة العامة وكان هو مراد الله تعالى فى الواقع

ونفس الأمر من هؤلاء المنافقين المفسدين أصحاب الصحائف السوداء فى الدس والكيد وتقليب الأمور له عليه الصلاة والسلام ولأنصاره ، قال المفسرون إنما عوتب ﷺ لأنه كان اللائق به وهو سيد أولى العزم أن ينتظر صدور الأمر له بذلك وألا يسارع إلى الإذن ويتفحص عن كنه معاذيرهم حتى يتجلى الأمر ويتبين الصادق من الكاذب . ونحن نقول ما كان اللائق إلا فعله صلوات الله وسلامه عليه تشريعاً للأمة واتقاء لشر هؤلاء المنافقين الدساسين وما كان عليه أن ينتظر صدور الإذن له فى مثل ذلك بعد أن فوض الأمر إليه ووكل إلى مشيئته . بل نقول فوق ذلك لو أنه عليه الصلاة والسلام أمرهم بالتخلف والقعود بدون استئذان منهم ولا انتحال أعذار مع علمه بحقيقة أمرهم ومقدار الضرر الذى يلحق الجيش من خروجهم معه لما كان عليه فى ذلك لائمة ولا توجه إليه عتاب . وهل يلام القائد الحازم على تطهير الجيش من عناصر الشر والفساد ودعاة الهزيمة والتردد ؟ لا والله لامؤاخذة ولا عتاب فى هذه الآية الشريفة ولا صدر من النبى ﷺ مايستوجبه ويستدعيه وإنما هى على حد قوله تعالى (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب . ماقلت لهم إلا ماأمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد) والله تعالى يعلم أن عيسى عليه السلام لم يقل ذلك وحاشاه أن يقوله ولم يقصر فى دعوة قومه إلى عبادة الله وحده والإخلاص له فى السر والإعلان وإنما أراد فقط تبكيت أولئك الأغرار المأفونين الذين ادعوا ألوهيته ونسبوه إلى ماليس له بحق وتقريعهم بين يديه وبيان استحقاقهم للخزى والعذاب الشديد . وكذلك الحال هنا لم يرد الله تعالى بقوله (لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) معاتبة النبى صلى الله عليه وسلم ولا إسناد شىء من الإهمال والتقصير إلى ذاته الكريمة وإنما أراد ذم الحالفين المتخلفين وفضيحتهم بأنهم لم يصدقوا الرسول ﷺ فيما اعتلوا به من العلل وانتحلوه من الأعذار وأنهم أصحاب كيد وإفساد لاخير فيهم ولا مصلحة فى خروجهم وأنهم قد كانوا مصممين على التخلف مصرين على القعود بدليل أنهم لم يعدوا له العدة اللازمة وقد كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين . ولئن كان سيدنا عيسى عليه السلام قد دافع عن نفسه أمام هذه المحكمة الإلهية وأجاب بقوله (ماقلت لهم إلا ماأمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم) إلخ فإن لسيدنا محمد ﷺ أن يجيب بقوله . إنما أذنت لهم يارب لأنك خولتنى هذا الحق وفوضته إلى ووكلته إلى مشيئتى وأنت الذى لايسلب ماأعطى ولا يسترد ماوهب . ومع ذلك فما قضيت إلا المصلحة ولا فعلت إلا الصواب . ولكن كفى الله تعالى حبيبه مئونة هذه الإجابة بما افتتح به هذا الخطاب من كلمة العفو المنبئة عن كمال التعظيم والتوقير . ولقد شهد الله عز وجل له بالكمال وسداد الرأى ووصفه بعظم الخلق وأوجب على المؤمنين طاعته وتحكيمه فيما شجر بينهم وألا يجدوا فى أنفسهم حرجاً من أحكامه وأقضيته وسلموا له تسليما حقيقياً ظاهراً وباطناً ونفى أن يكون لمؤمن أو مؤمنة الخيرة من أمرهم إذا قضى هو أمراً أو ارتأى رأياً . وجعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم ونهاهم أن يتقدموا بين يديه بشىء ما ؛ أو يقطعوا أمراً

دونه،ماذاك إلا ليقيم الادلة ساطعة على كمال نزاهته وسداد رأيه وحسن تصرفه فى الأمور كلها ، ولكم دافع الله تعالى عنه في مواطن عديدة و برأه من نزغات الجنان وفلتات اللسان ليشعرنا برفعة قدره وعظم منزلته وأنه عروس المملكة الإلهية وأفضل الخلق على الإطلاق الذى ماضل وما غوى وما ينطق عن الهوى . والمفسرون أنفسهم بعد أن قرروا أن الآية الكريمة قد نزلت له عتاباً ﷺ على الإذن المذكور قداعترفوا بأن المصلحة كانت فى ذلك كما صرحت به الآيات المذكورة آنفاً ولهذا تحيروا واضطربوا وأخذوا يبدون الأسئلة والأجوبة للتوفيق بين أطراف الموضوع ولهذا سلكنا ماسلكناه وقد استبان منه أن تصدير الآية الكريمة بالعفو ليس المقصود منه الكناية عن المؤاخذة والعتاب بل المقصود منه المبالغة فى تعظيمه ﷺ و إعلاء شأنه على ماهو الجارى فى لسان العرب عند مخاطبة العظماء يقولون عفا الله عنك ماصنعت فى أمرى ورضى الله تعالى عنك ماجوابك عن كلامى ومن ذلك قول على بن الجهم يخاطب المتوكل وقد أمر بنفيه .

عفا الله عنك ألا حرمة ... تجود بفضلك ياابن الندى

ألم تر عبداً عدا طوره ... ومولى عفا ورشدا هدى

أقلنى أقالك من لم يزل ... يقيك ويصرف عنك الردى

فهو كما قال بعضهم بمنزلة أصلحك الله وأعزك . هذا هو اللائق بمنصب النبوة الأسمى وحرمها الأحمى جعلنا الله من المتظللين بظله فى الدارين ؟

عبد الجواد محمد الدومى

من دواعى النصر

خطبة الجمعة من الأزهر الشريف

٢٦ رجب ١٣٧٥ — ٩ مارس ١٩٥٦

لفضيلة العارف بالله تعالى الشيخ محمد سليمان سليمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله .. نحمده أطيب الحمد ، ونثنى عليه أوفر الثناء ، ونعوذ به من همزات الشياطين، ونزوات الظلمة المفسدين ، ونسأله توفيقا يتخطى بنا العقبات ، ويصرف عنا سلطانه ويحطم صروح الشهوات ، ويقف بنا حيث يرضى الله ويرضى نبيه الأمين . ونشهد أن لا اله الا الله شهادة يقوى بها الايمان وتحقق لنا الفوز بالغفران ، والتمتع بالرحمات والاحسان ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله امام المتقين وقدوة المصلحين صلوات الله عليه وسلامه وعلى آله وصحابته والتابعين ومن تبعهم على نهج الحق الى يوم الدين ..

أما بعد ، فيقول الله تعالى فى كتابه الكريم : « يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ماعنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ، ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ، قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ، ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئا ، ان الله بما يعملون محيط » صدق الله العظيم .. وانه لمنهج سديد وتشريع جد حكيم .

حماية الأمة من المغرضين

أيها المسلمون :

تمثل هذه الآيات الكريمة جانبا هاما من جوانب السياسة القرآنية التى دعمت الأوضاع فى الدولة الاسلامية وكفلت لها البقاء والاستقرار وحفظتها من السقوط والانهيار . فيها يتحدث الحق سبحانه الى حكام الأمة وولاتها والقائمين على شئونها بل الى كل فرد من أفرادها يتحدث اليهم ويرسم لهم منهاجا صريحا واضحا يهدف الى حماية الأمة من المغرضين ووقايتها من شرور الأعداء المتسترين الذين يتظاهرون بالولاء والصداقة وقلوبهم تضطرم بنار العداوة وتمتلىء بالرغبة الجامحة فى الهدم والافساد .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ان القرآن حينما يدعو الى رفع أيدى هؤلاء عن الأمة وابعادهم عن التدخل فى الشئون الهامة والحيلولة بينهم وبين التسلل الى أجهزة الدولة ــ انه اذ يفعل ذلك ويدعو اليه انما يدعو أيضا الى التدقيق فى اختيار الأشخاص الذين آمنوا ستوكل اليهم شئون الدولة ويوضعون على رأس اداراتها المختلفة ويكونون فى وضع يمكنهم من الاطلاع على أسرارها والاحاطة بمواطن القوة والضعف فيها كما يستطيعون بما سيوضع فى أيديهم من سلطات وما يكون لهم من نفوذ أو يؤثروا فى مجرى الحوادث ويحولوا تيارها الى مايحبون ويطبعوها بالطابع الذى يريدون ، لذلك لم يكن من الفطنة والكياسة ولا من حسن السياسة الاكتفاء فى مثل هؤلاء بالكفاءة العلمية والخبرة العملية بحيث تكون هاتان الناحيتان هما محط الأنظار ومنتهى الآمال فان ذلك خطل فى خطل وهو بعد مكمن الخطر اذ ماذا يفيد الوطن من النبوغ العلمى أو العملى ، اذا ماتلوثت اليد وهيمن الغرض وساء القصد والتوى الهدف وخبثت النفس قطعا انه لن يفيد من ذلك شيئا بل بالعكس تكون الخبرة المزعومة والكفاءة الموهومة من أقوى عوامل الهدم وأفتك أدوات التدمير والتخريب .

ان الرأى الحصيف والنظر العميق والدين القويم كل هؤلاء يحتم أن يكون للناحية الخلقية والسيرة الشخصية الاعتبار الأول عند الاختيار . ثم تأتى بعد ذلك اعتبارات الثقافة والمعرفة والخبرة والتجربة بحيث لا يختار للمراكز الهامة من أبناء الأمة الا من كان طاهر السيرة نقى السريرة قد قامت القرائن القوية على صدق اخلاصه وكمال ولائه وكان بحيث تتأثر حياته الخاصة حالا ومستقبلا بما تتأثر به حياة الأمة التى يعمل بها ويقوم على تصريف بعض شئونها فان لم يكن كذلك تعينت تنحيته ووجب ابعاده ، وأصبح اسناد الأمر اليه اذ ذاك جريمة يسأل عنها من تولى كبرها وأهمل توجيه القرآن .

أيها المسلمون :

هذا هدى القرآن وتوجيه الرحيم الرحمن . حرص عليه أسلافنا الأولون وتواصى به القادة والمهيمنون فعلت كلمتهم وتمت قوتهم وتركزت وحدتهم وتوطدت هيبتهم ويئس منهم عدوهم حينما لم يجد له مكانا فيما بينهم بينما تساهل فى الأمر بعض من جاءوا بعدهم وتناسوا ما أوصاهم به ربهم فتسلل العدو الى صفوفهم وتدخل فى أخص شئونهم وعبث ما أمكنه العبث بمقومات وحدتهم وعوامل قوتهم ومن ثم ملك أمرهم دونهم وطرح بهم فى زوايا النسيان .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اليقظـــة الدائمـــة

أيهـا المسلمون :

ان من واجبنا الآن أفرادا وجماعات وأممـا وشعوبا ولـكل منا مصالحه التى ترتبط بها حياته، وتتوقف على نجاحها سعادته • من واجبنا أن نجعل هذا التوجيه الالهى نصب الأعين وقبـلة الأفئـدة نهتدى بهديه ونسير على ضوئه فى مختلف الشئون والأحوال فنضن بثقتنـا على من لايسـتحقها ولا نمنحها الا لمن نطمئن الى دينه وخلقه واخلاصه بل علينا بعد ذلك أن نديم اليقظة ونوالى الرقابة فى غير ما اسراف ولا تهـور حتى اذا مابدرت بادرة تنبىء بتغير الوضع وتحول الاتجاه كان فى امكاننا أن نتدارك الأمر قبل أن تفلت الفرصة وتحل النكبة ونعض بنان النـدم حيث لاينفع الندم ولا يفيـد ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد •

الحـــديث

روى الحاكم عن ابن عبـاس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو خير منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » •

الخطبـــة الثانيـــة

الحمد لله الواسع فضله الشامل عدله الواصل احسانه وبره وأشهد أن لا اله الا الله لا ملجأ منـه الا اليه ولا معول فى الأمور الا عليه وأشـهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الناطق بوحيه والواسطة بينه وبين عباده صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته والتابعين •

الاسراء والمعراج

أما بعد فيقول الله تعـالى : « يا أيهـا الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقـدامكم ، والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم » •

ان من أهم عوامل النصر وبشائر النجاح أن تسمو معنويات الأمة فتتوحـد القـوى وتتضـافر الجهود ويجتمع الرأى على هدف واحد ، وان من يمن الطالع أن يتم اجتمـاع جلالة عاهل الجزيرة العربية ورئيسى سوريا الشقيقة ومصر العزيزة فى هذا اليوم الأغر الميمون والذكرى الطيبة الكريمة ؛ ذكرى الاسراء والمعـراج اللـذين اختص الله بهما رسوله الـكريم ﷺ وأن يكون هدف هذا الاجتماع عزة العروبة وطرد المستعمر وانقاذ الوطن الاسلامى مهبط الرسالات السماوية ومشرق الحضارة الحقة ، ممن يأتمرون به ويكيدون له ، والله غالب على أمره، ولـكن أكثر الناس لايعلمون •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خاتمـــــة :

الحمد لله كما ينبغى لجلال وجهه ربنـــا وعظيم سلطانك •

وان من العلم مالا يؤخذ من السطور ، وانما يفاض على القلوب التى رفع الله من شأنها وزكى نفوس أصحابها •

وانه الفلاح كل الفلاح كما قال الله تبارك قد أفلح من زكاها •

ومن فضل الله وتوفيقه أن يظهر هذا الـــكتاب لأستاذنا العارف بالله الدومى ••

والله نسأل أن ينفع به نفعا عميما ••

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ••

تم ذلك
فى شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٦ هـ
ديسمبر سنة ١٩٨٥

الفقير
حسين محمود معوض
من علماء الأزهر الشريف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفهرست

م	ص	الموضوع
١	٢	المقدمة
٢	٦	السحور
٣	٦	من هم الصوفية
٤	٧	أهل التحقيق والمتوكلون
٥	٩	هل الانسان مخلوق على صورة خالقه
٦	١٤	ما فائدة الدعاء بعد ثبوت من سيدخل الجنة ومن سيدخل النار فى علم الله القديم
٧	١٥	علامة الرؤيا الصادقة
٨	١٥	الحاوى الذى يمسك الحية
٩	١٦	حكم تبرع المسيحى لمساجد المسلمين
١٠	١٧	معنى الحديث يحرم من الرضاع مايحرم من النسب
١١	٢٠	هل المتصوف أفضل من غيره المتساوى معه فى الأعمال الصالحة ؟
١٢	٢٤	هل الحكومة الباطنية حق
١٣	٢٧	هل تجب الزكاة فى المهر ؟
١٤	٢٨	رفع الصوت بالذكر وقراءة التراتيل فى المساجد
١٥	٢٩	حكم الأذان الثانى فى الجمعة
١٦	٣٠	مس المصحف بدون طهارة ووضعه على البساط
١٧	٣١	الحلف بالطلاق
١٨	٣٢	حكم المذى
١٩	٣٢	مؤخر الصداق
٢٠	٣٣	حكم التكبير فى العيدين
٢١	٣٥	أسلوب تخليص المصاب بلمسه من الجن وعلاجه
٢٢	٣٦	شرح موضوع رفع الله عز وجل لسيدنا عيسى الى السماء
٢٣	٣٨	التوسل وحكمه
٢٤	٣٨	خطأ من يقول أن مذهب الكتاب والسنة ولا يعتد بالمذاهب
٢٥	٤٠	التيمم
٢٦	٤٠	فرض الصلاة ليلة المعراج
٢٧	٤١	تارك الصلاة والصيام هل يقضيهما اذا تاب ؟
٢٨	٤٥	هل هناك صلاة ظهر بعد تأدية صلاة الجمعة ؟
٢٩	٤٦	تفصيل سماع النبى صلى الله عليه وسلم لمن يصلى عليه بعيدا عن قبره الشريف
٣٠	٤٧	حياة النبى ﷺ فى قبره
٣١	٥٠	ليلة النصف من شعبان والدعاء فيها
٣٢	٥١	هل الذكر فى جماعة (الحضرة) بدعة ؟
٣٣	٥٢	بيع الجنيه بـ ٩٩ قرشا هل حلال أم حرام ؟
٣٤	٥٢	حكم بيع البضاعة جملة وبيعها بالأجل
٣٥	٥٣	لف البضاعة بورق الجرائد
٣٦	٥٣	النقود المزيفة
٣٧	٥٣	واجب الزوج نحو زوجته
٣٨	٥٤	اتيان الزوجة فى ليالى المواسم
٣٩	٥٥	تفسير آية « يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب »
٤٠	٦٣	اللوح المحفوظ
٤١	٦٤	حقيقة المقدور
٤٢	٦٧	الدعاء والقضاء
٤٣	٦٩	نسبة المحو والاثبات الى أم الكتاب
٤٤	٦٩	هل ليلة النصف يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم ؟
٤٥	٧١	عصمة الرسل عليهم الصلاة والسلام
٤٦	٧٣	أبليس والجان والجن
٤٧	٧٣	حكم صلاة الجنازة قبل صلاة الجمعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

م	ص	الموضوع
٤٨	٧٣	ماسبب اسراع نعش الميت ؟
٤٩	٧٤	هل يصح تاخير الصلاة بسبب العمل ؟
٥٠	٧٤	هل يجوز تمنى الرجل الموت لنفسه؟
٥١	٧٤	حكم الانتحار
٥٢	٧٤	حكم الأعمى والمريض فى القتل والزنا ؟
٥٣	٧٤	أدب مجالس القرآن
٥٤	٧٦	حول مقادير الزكاة
٥٥	٨٠	السن الشرعى للصلاة وحكم قضاء الفوائت
٥٦	٨١	هل يجوز للمرأة أن تظهر صوتها ووجهها وعنقها وصدرها أمام الأجنبى ؟
٥٧	٨٣	لبس الحرير والذهب
٥٨	٨٣	كتب الفقه التى يمكن اقتناؤها
٥٩	٨٤	اجابات مختصرة
٦٠	٨٥	من هو الامام الراتب ؟
٦١	٨٦	القضاء والقدر
٦٢	٨٧	ما الفرق بين الحقيقة والشريعة ؟
٦٣	٩١	الصلاة الفائتة
٦٤	٩١	تفسير سورة البلد
٦٥	٩١	هل تجوز الصلاة فى الجبانة ؟
٦٦	٩٢	أمور فى البيع والشراء والربا
٧٧	٩٣	الصيغة الكمالية فى الصلاة على الرسول ﷺ
٧٨	٩٤	المشى فى جنازة النصرانى وحكمه؟
٧٩	٩٤	النظر الى النساء
٨٠	٩٤	السلف من النصرانى وموته قبل أن يسدد له الدين
٨١	٩٥	الحلف بالطلاق
٨٢	٩٥	مسألة فى تقسيم أرض ميراث
٨٤	٩٦	مسألة فى الرضاعة
٨٤	٩٦	مسألة فى الميراث
٨٥	٩٧	شرح « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب »
٨٦	١٠٠	التكبر على أهل الكبر
٨٧	١٠١	مسائل فى الصلاة والغسل
٨٨	١٠٥	حكمة تكرار قصص الأنبياء فى القرآن
٨٩	١٠٥	فصاحة النبى ﷺ
٩٠	١٠٦	بدء الكتب السماوية بالبسملة
٩١	١٠٦	مسألة فى الميراث
٩٢	١٠٦	مسألة فى الرضاعة
٩٣	١٠٧	مسألة رفض البنت الزواج
٩٤	١٠٩	تفسير كلمات فى أوائل السور
٩٥	١١٦	تفسير « الله ولى الذين آمنوا » الآية
٩٦	١٢٢	مجد الاسلام لم يتم على السيف
٩٧	١٢٧	تفسير آيات من سورة الأحزاب
٩٨	١٣١	تفسير الآية « واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » الآية
٩٩	١٣٨	تفسير سورة الطارق
١٠٠	١٤٧	الجهاد وأثره فى حياة الفرد والجماعة
١٠١	١٥٢	تفسير الآية « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية »
١٠٢	١٦٠	تفسير سورة البلد
١٠٣	١٦٩	تفسير الآية « عفا الله عنك لم أذنت لهم ... » الآية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جدول الأخطاء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٩	٤	والاجثماع	والاجتماع
٥١	٢٢	فلسث	فلسنت

رقم الايداع بدار الـكتب ١٩٨٥/٣١٦٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner